

الثقافة
ثراء
وسيرة
لا تنتهي

الأدب الأسبوعي

www.awu.sy

العيد الذهبي
لاتحاد الكتاب
العرب

2019 - 1969

الأسبوع الأدبي - "السنة الواحدة والثلاثون" العدد: "1700" الأحد 18/10/2020م - 30 محرم 1442 هـ 12 صفحة 25 ل.س

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن تصدر عن اتحاد الكتاب العرب في سورية

• مالك صقور

كلمة أولى

كراتشكوفسكي و المخطوطات العربية - ٣ -

قلت: إن المستشرق - المستعرب الكبير كراتشكوفسكي من أهم المستشرقين والمستعربين الروس والسوفييت، الذين يعود الفضل إليهم بنقل الثقافة العربية إلى روسيا، ولكن كراتشكوفسكي يمتاز عنهم، ليس في أنه أحب اللغة العربية حتى العشق، بل بأنه قضى عمره وأفناه بين المخطوطات العربية القديمة، وله فضل السبق أيضاً في الكشف عن تراثنا المندثر؛ فهو أول من اكتشف مخطوطة (المنازل والديار)، الذي كتبه الأمير السوري أسامة بن منقذ بخط يده إبان الحملات الصليبية، ومما يبرز أهمية هذا الاكتشاف أن المستشرق الفرنسي «ديرانبون» قضى ما يقرب من نصف حياته في دراسة أسامة بن منقذ، ومع هذا لم يكن يعرف شيئاً عن هذه المخطوطة، وإلى جانب هذا قام كراتشكوفسكي بنشر رسالة «الملائكة» لأبي العلاء المعري، وكتاب «البديع» لابن المعتز، واكتشف لوحين برونزيين من لوحات الاستغفار من مملكة سبأ، وأقدم رسالة عربية من بلاد (الصغد) اكتشفها في وسط آسيا، وكذلك الأراجيز الثلاث في وصف الطرق البحرية لأحمد بن ماجد، الملاح الفاسكودي غاما في رحلته الأولى عام 1498 من مالندي إلى هند.

يروى أغناطيوس كراتشكوفسكي عن عشرات المئات من المخطوطات الثمينة والنادرة التي وجدها في المتحف الآسيوي في بطرسبورغ، ومنها: مخطوط ضخمة يحوي أشعاراً قبطية، ورواية عربية زيدة للأساطير.

كتب كراتشكوفسكي رسالة الماجستير عن الشاعر في العصر الأموي «الوأيء الدمشقي» في القرن العاشر وكيف استطاع التمتع بنسخة رائعة لمخطوط من القرن الثالث عشر من (الأثار الباقية عن القرون الخالية) للبيروني والخوارزمي المشهور.

وبطرافة يروي كراتشكوفسكي عن «مخطوط وحيد» وعلماء «اثنى عشرة لغة».. والمخطوط الوحيد الذي يقصده هو مخطوط نادر عن شاعر يدعى «ابن قزماق» الذي عاش في مدينة قرطبة في القرن الثاني عشر، سطر رجال القصور، وهو يرى أنه موهوب، وقد جعلت موهبته الكبيرة في كل أغنية صورة جريئة ناصعة براقعة عن كامل وضع الحياة المعيشة، وكان يتناول الغزل المكشوف، ولكن ابن قزمان هذا، للأسف، لا يستخدم اللغة الفصحى إلا قليلاً.

ويروي أغناطيوس كراتشكوفسكي: إن هذا المخطوط، بعد مئة سنة، شق طريقه رويداً رويداً، باتجاه الشرق العربي إلى فلسطين. وفي مدينة صغيرة، هي (صفد) قام شخص عربي بنسخ هذه الأجزاء بدافع اهتمامه الخاص، وقام بكتابتها بدقة وعناية.

وعلى كل حال فما كنا نعرف الشيء الكثير عن ابن قزمان لو لم يخزن هذا المخطوط (الوحيد المعروف حتى الآن) عندنا في المتحف الآسيوي وكان المخطوط شاقاً. وأخيراً وقع في روسيا في متحف بطرسبورغ بفضل المصادفات السعيدة.

أما عن المصادفات السعيدة

و

المخطوطات العربية

فللحديث القادم



لوحتان للفنان التشكيلي محمد الجالوس

نفتنا الجميلة

• معاوية كوجان

سأورد في زاوية هذا العدد بعض الضروقات في معاني كلمات مختلفات، حرصاً على استخدامها بالشكل الدقيق والحقيقي لمعانيها.

التأثر والتأثير. الكلمة الأولى معناها أن تقوم أنت بالتأثير بشيء ما؛ كأن تحزن أو تفرح من لقاء نفسك. التأثير دخول عارض طارئ يسبب لك التأثر بموقف ما، كقولنا: كان للنضال ضد الاحتلال تأثير كبير في نيل الاستقلال.

الترشح والترشيح. هاتان الكلمتان يساء استخدامهما في عصرنا المعيش هذا، ويخلط بين معنيهما خلطاً واضحاً.

الترشح أن ترغب أنت بترشيح نفسك لخوض الانتخابات. أما الترشيح، أن تقوم جهة ما بترشيحك للمشاركة في الانتخابات؛ كأن يرشحك حزب أو منتخب أو ناد أو هيئة ما. ومن تلك الكلمات أيضاً: التقدم والتقديم.

الكلمة الأولى، تعني أن تبادر أنت بالتقدم إلى عمل ما أو مهمة معينة. أما التقديم فيكون بسبب خارجي.

ومن تلك الكلمات أيضاً، التوسع والتوسيع. الكلمة الأولى مبادرة شخصية للقيام بالعمل؛ كأن تعمد إلى التوسع في بحث تعكف على إنجازه. أما التوسيع فعمل يقوم به أحد ما أو جهة ما؛ كأن تعمد الحكومة إلى توسيع الطرقات والشوارع.

التجمل والتجميل. كلمتان أخريان ينبغي التفريق في معنيهما. التجميل أن تتدبر بالصبر أو تتجمل من لقاء نفسك بالخصال الأخلاقية الحسنة. أما التجميل فعمل يقوم به إنسان لإنسان آخر بإضفاء زينة على وجهه ونحو ذلك، كما يفعل أطباء التجميل.

الانتخابات الأمريكية وما بعد

• د. سليم بركات

الانتخابات الأمريكية القادمة والتي ستجري في 3 تشرين الثاني القادم، ستلقي بتأثيراتها على مجمل الأحداث الدولية وقاوعها، اتجاهاتها، إعلاها، علاقاتها... وما من شك أن لشخصية الرئيس المنتخب وتوجهاته أكان «ترامب» أم كان «بايدن» دوراً كبيراً في التأثير على مجريات هذه الأحداث، أكان ذلك داخل الولايات المتحدة الأمريكية، أم كان خارجها، بعد هذا التنافس القوي بين المرشحين، وبعد هذه الانتقادات الواسعة لسياسة «ترامب» الداخلية والخارجية، وطريقة إدارته الفاشلة التي قوضت مكانة أمريكا العالمية.

من الواضح أن سياسة «بايدن» الخارجية ستكون مختلفة عن سياسة «ترامب» وإلى حد التناقض، وربما قلب «بايدن» معادلات «ترامب» السياسية رأساً على عقب فيما لو وصل إلى سدة رئاسة البيت الأبيض، الأمر الذي يجعل من السؤال التالي سؤالاً مشروعاً وهو ماذا يتوقع العالم من هذين المرشحين الرئاسيين فيما يخص مستقبل السياسة الخارجية الأمريكية، وكيف سيكون تعاطي كل منهما مع ملفاتها التي تعكس في الوقت ذاته اختلاف الحزبين الجمهوري والديمقراطي وطريقة تعاطيهما مع هذه السياسة، أكانت فيما يخص العلاقة مع أوروبا (الحليف) أم كانت مع الشرق الأوسط إيران، تركيا... أم كانت مع الصين.

بالنسبة لأوروبا الحليف فقد رفع «ترامب» منذ اليوم الأول لمحيطه إلى السلطة شعار أمريكا أولاً، شعار حول الاتحاد الأوروبي من دور الشريك إلى دور الخصم، ولدرجة أن هنالك من يقول إن «ترامب» لا يرفع شعار أمريكا أولاً، وإنما المال أولاً، الأمر الذي أدى إلى أن تتوقف أمريكا عن تشغيل قواعد عسكرية، أو نشر قوات على أرض غير أرضها، أو الدخول في تحالفات ترتب عليها تكاليف مالية، بما في ذلك تكاليف حلف الناتو التي أصبح من وجهة نظر «ترامب» قديماً وغير فعال، وهذا يعني أن على حلفاء أمريكا من الأوروبيين أن يتحملوا كامل أعباء الدفاع عن أنفسهم، إذا لم يدفعوا الأموال للولايات المتحدة الأمريكية، وسيافقاً على هذا التحول عبر «ترامب» عن استعداده رفع العقوبات الاقتصادية التي فرضتها إدارة أوباما على روسيا بسبب سياستها تجاه أوكرانيا، وأعرب عن رغبته الاعتراف بضم جزيرة القرم إليها، أما بالنسبة للمرشح «جون بايدن» في حال فوزه فسيسعى إلى إعادة ترميم الجسور مع الأوروبيين، ومع حلف شمال الأطلسي بعد أن تصدعت هذه الجسور خلال ولاية «ترامب» وسيكون ذلك بالعودة إلى الاتفاقات السابقة الموقعة بين أمريكا والأطراف الأوروبية، وفي طبيعتها تمكين المظلة الأمنية بين هذه الأطراف، وبالتالي سيعمل «بايدن» على تعزيز العلاقة مع حلفاء الولايات المتحدة وبخاصة مع حلف شمال الأطلسي الذي تعرض للانتكاسة في ظل رئاسة «ترامب» محاولاً إصلاح الضرر الذي لحق بالرؤية الأوروبية الأمريكية المشتركة حول العديد من القضايا الدولية، وفي طبيعتها الاتفاق النووي الإيراني 1+5.

أما فيما يتعلق بالشرق الأوسط فقد يكون هنالك تشابه إلى حد ما ما بين سياسة «ترامب» وسياسة «بايدن» بمعنى أن لا ترتبط هذه السياسة بشخصية رئيس معين أو بدور قيادي معين وهذا يعني التقليل من الدور القيادي لقيادات هذه المنطقة، كما يعني الحضور الأمريكي في الملف الفلسطيني، بالمزيد من الدعم الأمريكي لإسرائيل لضم أجزاء من الأرض الفلسطينية المحتلة، حتى ولو كان هذا الضم سيجعل «جو بايدن» في موقف صعب، لأن الموافقة عليه ستغضب الجناح اليساري للحزب الديمقراطي، وعلى الأرجح سيترك «بايدن» مسافة معينة للمناورة، متبنياً مواقف دبلوماسية في إنجاز هذا الدعم، ليبقى الأمر متروكاً للإسرائيليين والفلسطينيين، كي يتخذوا قراراتهم بأنفسهم.

أما فيما يخص العلاقة مع تركيا فستبقى قضية خلاف بين «ترامب» و«بايدن» بسبب علاقة ترامب الوثيقة مع أردوغان، والتي تجلت بعدم فرض العقوبات على تركيا عندما اشترت نظام الصواريخ الروسي S400 مكتفياً بالتوبيخ المباشر للسلطات التركية. أما بالنسبة لـ «جو بايدن» في حال انتخابه، فإنه سيدعم القرار الذي سبق واعترف فيه بالابادة الجماعية للأرمن، وسيحافظ على انتقاده لقرار «ترامب» بسحب القوات الأمريكية من سورية، والذي سمح بالتوغل التركي في الأراضي السورية محافظاً على قوله: «إن «ترامب» قد باع الأكراد في سورية» أما فيما يخص حروب وصراعات الشرق الأوسط، فيعتبر «ترامب» أن القرار بالذهاب للحرب في الشرق الأوسط على نمط الحرب على العراق عام 2003 لن يتكرر، لأن قرار هذه الحرب من وجهة نظره، يعدّ الأسوأ في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، ولن يتكرر، بمعنى أن أمريكا ليست

على استعداد للقيام بدور الشرطي في الشرق الأوسط تحت أي ذريعة كانت، وليست على استعداد للتضحية بجنودها في أي جانب خارج الولايات المتحدة الأمريكية.

إن «ترامب» يعارض الخوض في حروب وصراعات بدون طائل، وبدون فائدة، وتتلخص فلسفته هذه في أن الدول التي تنشأ فيها مثل هذه الحروب، لا بد لها من أن تتحمل الأعباء، وأن تؤدي دوراً قيادياً في تحقيق الأمن لنفسها ولمنطقها، وإذا أرادت تلك الدول الحماية الأمريكية فعليها أن تدفع مقابل هذه الحماية، الأمر الذي يؤكد أن الاهتمام الأمريكي بصراع الشرق الأوسط سيبقى مستمراً وفي إطار إدارة الأزمات والتناغم النفطي، وهذا يعني أن النزاعات العربية ستبقى حاضرة في الاعتبارات الأمريكية. أما فيما يخص «جون بايدن» فمن المرجح أن يتميز نهجه عن نهج «ترامب» في هذا المجال، من خلال المهادنة، وبالأقل تدخل في شؤون دول المنطقة، أما فيما يخص الاتفاق النووي الإيراني الذي يعتبره «ترامب» أسوأ اتفاق، لأنه يضع إيران في طريق الحصول على سلاح نووي، فإن «جون بايدن» يعد من مؤيدي الخيار الدبلوماسي في التعامل مع هذا الملف، وسيدافع بدون شك عن هذا الاتفاق باعتباره أحد إنجازات السياسة الخارجية للرئيس السابق باراك أوباما، والجدير بالذكر أن «جوبايدن» كان قد صوت ضد اعتبار الحرس الثوري الإيراني منظمة إرهابية عندما كان سيناتوراً، وهذا يعني أنه سيكون أكثر حماسة في الوصول إلى تسوية مع إيران، الأمر الذي يرفضه الرئيس «ترامب».

أما فيما يخص العلاقة مع الصين وهي بالنسبة لأمريكا من أكثر العلاقات الدولية تعقيداً وتشابكاً في هذا العصر، فإن «ترامب» قد اختار بخصوصها المواجهة، وبما يتسق مع شخصيته المتقلبة والمتقلبة على كافة الثوابت والاتفاقات الدولية، ومع ذلك يوجد اجماع بين الحزبين الديمقراطي والجمهوري على صعيد الواقع الأمريكي، بأولوية التعاطي السلمي مع الصين، لكن ثمة خلافات على هذا التعاطي، فإذا كان «ترامب» قد اختار المواجهة، والنهج الأكثر تشدداً من خلال تأكيده على أن انضمام الصين إلى منظمة التجارة العالمية كان خطأ مميئاً، فإن هذا بالنسبة لـ «جون بايدن» أقل مواجهة، إذ سيعمل على تخفيف التوتر المحيط بالحرب التجارية مع الصين، وسيواصل المفاوضات بشأن الممارسات التجارية غير العادلة، كما يمكن أن يتجه نحو إزالة العقوبات عنها، ومن المحتمل أن تستمر إدارته على نهج إدارة «أوباما» التي عملت على إعادة التوازن في محور آسيا المتسم بالوفاق والتعاون، والذي ساهم «بايدن» نفسه بدور أساسي فيه عندما كان نائباً لأوباما.

فيما يخص القيادة العالمية والمنظمات الدولية، يعتقد «ترامب» أن الولايات المتحدة الأمريكية هي بلد محمي طبيعياً، ولذلك يدعو إلى الانكفاء وعدم الانخراط في الشؤون الدولية، وكل ما يهيمه التركيز على الداخل، انطلاقاً من قناعته أن أمريكا لا تحتاج إلى العالم، وإنما العالم يحتاج إليها، وهل نجانب الحقيقة إذا قلنا أن بهذا السوء من الفهم لـ «ترامب» كانت انعزالية أمريكا، كما كان تخليها عن التزاماتها تجاه العالم، الأمر الذي أدى إلى تراجع السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية في عهد «ترامب» وإلى تدهور المكانة العالمية لها، وإذا كان «ترامب» لا يفضل بأن يكون جزءاً من المبادرات متعددة الأطراف، كي لا تفقد الولايات المتحدة الأمريكية ميزة المساومة، فإن ما كان واضحاً هو انسحابها من المبادرات الدولية، مثل صفقة التجارة عبر المحيط الهادي، واتفاقية باريس للمناخ، واتفاق إيران النووي... انسحاب أدى إلى تراجع مكانة الولايات المتحدة الأمريكية كقوة عالمية، وفي المقابل إذا ما تم انتخاب «جو بايدن» فسيكون العمل على استعادة الدور القيادي الأمريكي، وعلى استعادة الشراكة مع الحلفاء، وإلى عدم تبني شعار أمريكا أولاً، لأن الهدف الأسمى سيكون لإدارته هو إثبات المصداقية والمكانة التي تليق بدولة عظمى كالولايات المتحدة الأمريكية.

بقي أن نقول إن مزيداً من التراجع سينتظر دور الولايات المتحدة الأمريكية على مستوى العالم، أكان ذلك في عهد «ترامب» أم كان ذلك في عهد «جون بايدن» وهذا لا يعني نهاية الدور العالمي للولايات المتحدة الأمريكية، وإنما يعني أفول مكانتها وقدراتها بأن تكون القوة القطبية رقم واحد لهذا العالم، عندها ستجد أن التعاون والتفاوض على مستوى العالم هو الأفضل من الابتعاد والمقاطعة.

قراءة في رواية "سودوم" - سباق الإوز البري

• وجيه حسن



(ص 43).

وهناك حكاية "إسماعيل الفارس"؛

وهناك حكاية المعلم الأرمني "قره بيت نها بيديان"، صانع العربات العجوز الشهير، يقول لنفسه: "فأياكم مضت، صوّحت بهجتها أيام الذبح والترحيل، حيث أكلت من قدميك الممرات الجبلية، وصحراء دير الزور والرقّة... فتأخى هذا الجسد مع كل أنواع العذابات... من أرسل القتلّة بثياب الناس؟ من قال للأدوات اقتتلوا شعباً لا طرائد من الثعالب والغزلان؟؛ ليش؟" (ص 170+ ص 171).. لقد أنهى "قره بيت" كل أعماله، وصرف عماله جميعاً، يقول للمسيو "ديران مينا سيان": "لم يبق من العمر ما يكفي لشاريع جديدة" (ص 172).. وها هو يقرر العودة نهائياً إلى موطنه الأصلي "أرمينيا".

والزوجة "زكاء القربي"؛ ما حكايتها؟ لقد طلبت الطلاق من زوجها الثري بالعاصمة قائلة له: "إمّا طلاق، أو طلاقها! من الممكن أن يكون لك بيتان وسيارتان ورصيدان، أمّا زوجتان؟! مستحيل" (ص 177).. ولم تسأل نفسها إلى أين عليها أن تذهب؟ فهي إن تعبت من المسير، فستذهب إلى منزل العائلة الباقي" (ص 178).. يقول "سيادة الوكيل" الذي راقها بالسيارة من دمشق إلى قريتها "الرميلة": "أمرأة لو طلبت إليك رأس قائد الدرّك، لتقدمته لها على طبق من فضة.. ومع هذا تذهب وحيدة، وحزينة إلى جهة مجهولة.. زمن ابن حذاء، ورجال من حصن" (ص 179).. "كل شيء أصبح حقيقياً، فمن يصدق أن "زكاء القربي" في طريقها إلى قرية لا يعرفها أحد في دمشق؟" قالت المرأة! (ص 178)..

(أثوب.. أثوب.. أثوب..)

والعرق بل الثوب..

يسرى يا أم خزام..

حلي لي أززار الثوب..

أنصتت "زكاء" إلى الصوت الطروب يأتيها من البيت المجاور، مدت يدها إلى جانبها بعفوية فاصطدمت بـ "ديران مينا سيان" - مدير فرع بنك سورية ولبنان - وقد سيطر عليه التعب والنوم، بعد ليالٍ من الحب والجنس).. (ص 197).

وهناك حكاية "راي صباغ"؛ (ص 197)..

القطن "قرية تل الهوى" - قرية صغيرة على ضفاف الفرات - على يد "راي صباغ" ازدهرت، فأقام أول مشروع ضخم فيها، يسقى من الفرات بالمحركات، (ص 239)، وراي في الوقت عينه "صاحب محطة المحروقات والمشروعات الزراعية"، الذي عثر عليه مقتولاً بعد اختفائه.. "وفي اليوم الثالث وجدت الجثة في أحد الوديان، وأمر "سيادة الوكيل" أبو الخير، بتوقيف عامل المحطة، وإعادة التحقيق معه، على ضوء الواقع الجديد" (ص 217)..

"بعد مقتله، رحل أهله إلى لبنان، حيث أصولهم البعيدة، فالضدمة كانت أكبر من أن يحتملها الأب أو الأم"، (ص 239).. "تل الهوى" ماذا فعل بك القطن؟!.. تلك آخر جملة أطلقها التاجر الحلبي "رحمو الجيرودي"، وهو يقود سيارته باتجاه حلب، وفي رأسه أصداء غامضة لوجوه وأجساد وعيون.. بانتظار الموسم القادم ليعود). (ص 242).. وهاته حكاية "أبو علي" بائع أقرص المشبك الجوّال، الذي انحنى على يد "حسين الرميلاوي" (صاحب مطعم) يريد تقبيلها، طالباً منه العون والمساعدة:

- يا حاج دخيلك.. امرأتي.. أخذها مني أولاد الكلب!

- ومن أخذها؟

- بيت أهلها!

- يا عمي صارت روحي الآن بين يديك، أنا بلا فطوم أفضس مثل الإكديش، وفطوم حلوة وصغيرة، مثل البيضّة المُشترّة، ومفطسة بالعسل، والحلاوة تجيب الذبان، وحماتي معبودها القرش..

"راجني بعد أسبوع"، (ص 113+ ص 114).. وشمة حكاية "فريدة بنت عمر المسلاتي" وهي حكاية جميلة..

أما الشخصيتان الأكثر بروزاً - كما أسلفنا - فهما شخصية "د. عبد الله الرفاعي"، الذي كان منذ نعومة أظفاره يلاحقه صوت جده كظله:

"يا عبد الله يا ولدي، لا تأخذك الدنيا بعيداً، ولا تكن مجنوناً ببريقها، فهو خادع، كن مع الله والناس تكسب أثمان جوهرة في هذا العالم، ألا وهي الطمأنينة.. يا ولدي لا أعظم من السكون وراحة البال.. أبوك مجنون، ولا خير فيه، يكبر مثل هرش القرع، وفي النهاية يذوي دون أن يترك وراءه غير المال، والمال سلاح إبليس، إذا لم تكن فيه حصة لله والفقير، يا عبد الله.. اسمع.. (ص 86)، وشخصية "الحاج سعيد النهري" الذي كان والده ينصحهُ: "ولد يا سعيد.. اسمع، ما عندي مال أعطيك، لكن عندي وصية، حطها مثل حلقة في أذنك، دفعت عمري حتّى تعلمتها، دور على المال، لأنك بالمال تشتري الديرة، لحاهم وشواربهم ونساهم، الفقر لا يدوم.. (ص 62)؛ ويقول له معلمه القديم "باوم الألماني" (ولد سعيد، هذه الرأس الكبيرة يصعب أن تفكر تفكيراً نظيفاً.. حافظ عليها، فلا بد أن تقودك إلى المال، أما الشرف والحكمة فلا نصيب لك فيها، فلهذا ولدت لتكون "بندوقاً" حقيقياً)؛ (ص 56)..

وفي الرواية تقع على شخصيات أخرى حياة نابضة، تنمو أمامنا، وتحرك مجرى الأحداث فيها: (ديران مينا سيان، "مدير فرع بنك سورية ولبنان"، زكاء القربي، عشيقته، فريدة بنت عمر المسلاتي، زوجة الحاج سعيد النهري الجميلة"، أبو جورج عامل المحطة الديناميكي المخلص، الشيخ ضاري بن سلطان "الشعوف بالغزو والمال والسلاح"...) إلخ، وعلى شخصيات جامدة، ذات طباع تكاد تكون نطية، أو تنقل إنها شخصيات مسطحة (عمر أقة - "تاجر حلبي"، يزدهر الكاوي - "صاحب صندوق البويّا الزين بالمرايا"، التاجر اليهودي عزرا حداد، هدلة "الفتاة اليتيمة" مشوقة دحمان، سلّمون العبد "قواد عريق وعجوز"...) وهلم جرا وسجلاً، ولا يزال الكاتب ينتقل بنا من أحداث الأشخاص على اختلاف أدوارهم ومواقفهم وسلوكياتهم، حتى إذا استقصى طائفة من أحداثهم وحكاياتهم، عاد بنا من حيث ابتدأ، فقص علينا طرفاً من أحداث وسلوك "د. عبد الله الرفاعي"، أو "الحاج سعيد النهري"، أو "راي صباغ"، أو "حاج مامو"، أو "زكاء القربي"، أو الشيخ ضاري بن سلطان.. إلخ، وتنتقل بنا بين الأطراف والأشخاص، وما يزال يفعل هذا عوداً على بدء، وبدء على عود، حتى ينتهي بالقارئ إلى آخر الرواية، وقد اجتمعت الأحداث التي أراد الكاتب أن يصور بها حكايا حياة هؤلاء الأشخاص جميعاً.. وحتى وان ورد في الرواية عدد جم من القضايا الاجتماعية والحياتية، سواء أكانت سلبية أم إيجابية، التي أراد الكاتب نقلها للقارئ لإمتاعه ومؤانسته وإفادته، فإن أحداث الرواية جاءت بصفة عامة مترابطة ترابطاً داخلياً واضحاً، ناهيك عن أن في كل حكاية من حكايات الرواية عنصراً من عناصر التشويق، الذي يجعل القارئ مشدوداً لتابعة أحداث الرواية من ألفها إلى يائها، ألم يقل الروائي الكبير عبد الرحمن منيف رحمه الله: "الرواية - كما أفهمها وكما أكتبها - أداة جميلة للمعرفة والمتعة".. وهاته حكاية "أسود الحدردان"، الذي بنى شهرة أسطورية في اللصوصية، وعبور الحدود إلى الجانب التركي، لكنه ظل مفرداً، لا يألف أحداً، ولا يسرق عابراً أو فقيراً" (ص 41).. (فأمثال هذه الشخصية أشيرة لدى "د. الرفاعي"، يرى فيها إعادة لتاريخ الصعاليك في العصر الجاهلي، واستمراراً لإرثهم)، (ص 42). يوماً قال له "د. الرفاعي": "وكيف كنت تذهب إلى الغزو؟"

"كنت أصبر الضرات وثيابي على رأسي، وعند الشاطيء أدفنتها، ثم أنطلق عارياً، ربي كما خلقتني، حتّى يتعذر الإمساك بي، ثم أعود بالذئ في النصب عبر مخاضات أعرفها في مجرى النهر"

القراءة في جريدة "الأيام".. فردت: كل يوم والثاني انقلاب جديد، ورئيس جديد، هذا خائن عميل، وهذا بطل، لتتقلب الدنيا على رؤوسهم جميعاً..

إنها دوامة.. الزعيم قُتل، والشيشكلي ترك ورحل، والقوتلي يريد مخرجاً للبلد، قد يقوده إلى فخ أو كمين، أو عمل متسرع، وقد كثرت الحديث عن الوحدة، خاصة بعد الحشود التركية... المهم الخلاص.. قالت "زكاء"، (ص 244).

إذن فالمؤلف لم يسرد مسائل تاريخية مجردة جافة، ولم يتقصّد ذلك، ولم يلجأ إلى الوصف التاريخي، فمثل هذا الوصف ليس من اختصاص الروائي، بل إن مهمته مزج التاريخي بالروائي، والروائي بالتاريخي، لإماطة اللثام عن بعض جوانب التاريخ، بلغة رواية طليّة، بعيدة عن السرد التاريخي الملل، وبهذا الصد يقول الروائي والناقد السوري المعروف "نبيل سليمان": "وأنا أنظر إلى الرواية على أنها التاريخ الحديث للبشر، والروائي - هنا - هو بديل المؤرخ، بديله في الزمن، وهو الذي يعنى بدقائق حياة المهشين ودخائلهم.. مع التنويه، إلى أن وعي الروائي "الخليل" بالتاريخ، يعد مكوناً أساسياً لعملية استمتاعنا بالفن بوجه عام، والرواية على وجه أخص: الاستعمار العثماني الظالم، الاحتلال الفرنسي وجرائره، الحديث عن "الكاوية"؛ (جيل من القرباط عرف بالشراسة والغدر)، الحديث عن "مذبحة الأرمن" وترحيلهم، الظلم الواقع على فئة الأجراء والعبيد، قسوة الأغاوات والباشاوات، واستغلالهم لطبيعة الفلايح ومقدراتهم.. إلخ.. لأن التسجيل الفوتوغرافي لواقعة ما، أو لمسألة من المسائل التاريخية، أو الاجتماعية، يأتي دائماً وكأنه شرح أصم، لا روح فيه ولا حياة ولا أنبساط..

ألم يقل الروائي التشيكي "ميلان كونديرا": "إنه لا معنى للفن يحد ذاته، فهو جزء لا يتجزأ من تاريخ المجتمع.. فالرواية بهذا المعنى، هي جزء من التاريخ، بل هي تعمل على التاريخ؛ "تاريخ الهواجس الداخلية، تاريخ الوعي السيولوجي لدى الفرد، تاريخ القبائل والمجموعات والفئات الصغيرة في المجتمعات، وتاريخ الحروب والمعارك والثورات والتحوّلات الكبرى في العالم.. كما اهتم الكاتب "الخليل" بالحكاية والقص في نسيج روايته، وفيها تقع على كم فائض من هذه الحكايات الشيقة.. علينا أن نقر بأهميتها وتأثيرها عنصري "الحكاية والتاريخ" بالرواية، وأشكال استخدامها في الكتابة الروائية.. ونحمد للكاتب تخلصه روايته من الترهل، والمبالغة، والسذاجة، والبناء غير المنطقي للشخصيات والأحداث والتعارضات، التي كانت تحتشد بها الكتابة الروائية من قبل.. والأن ما الموضوع الرئيس الذي أراد الكاتب نقله إلى القارئ؟ أرى إلى أن من يقرأ الرواية بتأن وصبر، سيجد أنها استطاعت نقل لقطات ومشاهد سينمائية، وسردت حكايات بانورامية، جمع بينها في نهاية اللطاف التساوq والتلاحم والاندماج.. لكن الموضوع الرئيس بالرواية: التطور الإيجابي أو السلبي، الذي لحق البادية ومناطق "الجزيرة السورية"، بفضل كثرة كاشرة من التحوّلات الاقتصادية - على رأسها زراعة القطن - والاجتماعية والسياسية والثقافية المباشرة، بسبب الوجود الأجنبي: العثماني أو الفرنسي، ومفرازاتهما من "الأغاوات" و"البيكاوية"، و"الباشاوات"، وأرباب المصالح المادية الضيقة، وأصحاب النفوس المتبذلة.. يقول أحد المحتشدين أمام سراي الحكومة واصفاً غيضاً من هذه التحوّلات:

"ماذا جرى للناس؟ إذا شبع ابن كلب منهم عَضُّ جاره أو قريبه، وربما ابن أمه... فرد آخر: امتلأت جيوبهم بأموال القطن، فماذا يفعلون؟ إما أن يتزوجوا، أن يبتلوا عباد الله، كل درهم مال يحتاج إلى درهم عقل" (ص 80).

ويقول "الحاج سعيد النهري" لأحد الغنّامة: "السوق اليوم للقطن، ودعم الحكومة كله للمزارعين، أما السمن، فقل الطلب عليه، والسبب: السمن النباتي.."

رد الغنّام: "كل هذا من علامات القيامة.. الدنيا آخر زمن، وإلا كيف نفهم هذه الخريطة؟ الحيوانات؛ الحصان والجمال والحمار أكلتها السيارات، والغراف أكله الموتور الذي يعمل على المازوت، وينهب هو وأمثاله ربع نهر الضرات في اليوم، والصوف أكله القطن، والغنّام أكله المزارع، والشريف أكله الردي، والراعي أكله الفلاح، والعشاير أكلتها الأحزاب.. (ص 83).

يقول المؤلف الخليل، لكأنه يكشف عنوان روايته: (.. فالذكورة في نشاطها البدني، بعيداً عن سلطة العقل الواعي تتشابه، لا فرق بين نزوات الأكباش، والجمال الفتية، وبين نزوات الشباب من الفلايح والرعاة وعلاقتهم "السادومية" الشائعة).. (ص 194)..

- عبد الله.. كانت أم فؤاد - صاحبة البانسيون - تناديك لتسمع لهجتك البدوية الغامضة، بحروفها المعطشة، ومخارجها الضخمة القادرة على التعبير عن صاحبها، وكما تنثر الغزلان، أو يطيرسرب من الإوز البري في سباق عبيث، كانت تنثر الكلمات.. (ص 204)..

يوماً تلويحاً، يتوكد لدى قراء الروايات السورية بخاصة، بأن في "سورية" روايين كباراً، يشار إليهم بالبنان، لم يتعرف إلى أقلامهم الجادة، ونتاجاتهم الإبداعية، ومنجزاتهم المتميزة سوى كثرة قليلة، أو قلة خجولة، من القراء على امتداد الجغرافيا السورية..

والآن، نحن بصدد واحد من هؤلاء، صاحب رواية "سودوم - سباق الإوز البري"، لمؤلفها "إبراهيم الخليل".. ورد في الرواية:

تقع الرواية في (261 صفحة) من القطع الكبير، قسمها الكاتب إلى "إشارة" و "إهداء"، وستة كتب، جاءت بمنزلة الفصول، والرواية من منشورات اتحاد الكتاب العرب - دمشق، العام 2004، وللمؤلف روايات ومجموعات قصصية عديدة، وله باع مشهود في ميداني الشعر والنقد..

ورد في "الإشارة": "كل ما في هذه الرواية من أحداث وشخصيات متخيل، إلا اسم الكاتب فهو حقيقي" (ص 5).. وفي "الإهداء": "إلى الرقة، والرقة فقط" (ص 7)..

في التوطئة إذا كان كل ما جاء في تضاعيف الرواية من أحداث وشخصيات واسترجاعات وتفاصيل وحكايات وسرديات وحوارات وأسلوب سلس ولغة رواية - شعرية مشرقة، ووصف بارع، هي من صنّ مخيالات الكاتب الخصب، وذاته الخلاقة المبدعة، ومن ضفر عقله وذهنه وقلمه السيال والشرايين، فإن القارئ اللامح سيقول في سره بطريقة "المنولوج": يا الله، ما أجمل هذا التخيل العريض - الضالّي، وما أخصب تربته البتول، هذا التخيل الذي علا على الواقع، أم أن الواقع كان يحق وراء كل هذا التخيل، وهذا الضفر الإبداعي، وهذه الرواية الملتعة بشخوصها وأحداثها وحكاياتها النابضة بكل روح وحياة؟! ولكن.. أليس لكل عالم أدبي، قائم على التخيل، واقعته، وزمنيته، ومادته التاريخية والاجتماعية؟! يرى (جورج لوكتاش): "أن كل لون من ألوان الكتابة، لا بد وأن يتضمن قدراً معيناً من الواقعية، فالواقعية ليست أسلوباً واحداً من بين أساليب أخرى، وإنما هي أساس الأدب.. ورواية "سودوم" لكنها مضمّن بسط الروائي فوقه كل هؤلاء الأشخاص على كثرتهم، وعلى اختلاف أمزجتهم وانشغالاتهم وهمومهم ومستوياتهم الاجتماعية والفكرية، كما طرح كل هذه الأحداث على كثرتها وتنميتها، التي امتدت لفترات زمنية متباعدة أو متقاربة، وفي أمكنة حضرية وريفية وفي البادية..

في البدء، صحيح أن "د. عبد الله الرفاعي"، هو الشخصية الأكثر سطوعاً في الرواية، وكذا "الحاج سعيد النهري"، ولكن الصحيح أيضاً، أن هناك عدداً من الشخصيات كان لها حضورها الديناميكي الأبرز، كذلك شمة شخصيات امتازت بالفنور والتسطح في سياقات الرواية.. ويتصافر هذه الشخصيات المتكثرة مجتمعة، وبأحداث الرواية وحكاياتها الشيقة، وبهذه اللغة الروائية - الشعرية، وبهذا الوصف الحي، وبهاتيك الحوارات المتسرة البرقية الملائمة لمستويات الأشخاص، وبإسقاطات التاريخ الذي لم يأت قليلاً على نسيج الرواية، بهذا كله وسواه، يقع القارئ المستأنى على رواية مائعة، جديرة بالاقتران والقراءة، كؤلّفها الذي ينتمي إلى محافظة "الرقة"، مقر الخليفة العباسي (هارون الرشيد)، التي كانت عاصمة القصة القصيرة في سورية، قبل أن يدهمها الإجمام المنتشر، والإرهاب المدان والمرفوض، شعبياً ورسماً وأخلاقياً وإنسانياً بأن! وحين يخوض القارئ في سرديات الرواية، سيرى أن التاريخ لم يكن مجرد سرد لأخبار زعماء وقادة بارزين: "حسين الزعيم"، "أديب الشيشكلي"، "شكري القوتلي"، ناظم القدسي" إلخ؛ محاولة انقلاب جديدة تكشفها الحكومة، قالها "ديران مينا سيان" لـ "زكاء القربي" وهويتابع

منارة تشرين تبدد ظلمة الإرهاب والتطبيع

• بسام عمران

تستنهض الذاكرة العربية لتجدد اليوم ومضات منارات عزتها كلما استعاد الحاضر عينة من سطور الماضي وخاصة تلك التي لونت بألوان بيارق فرح الانتصار فالذاكرة السورية لاتزال مفرداتها تنبض عزة وكرامة ولاسيما عندما تقف على عتبات محراب ذكرى حرب تشرين التحريرية التي قادها الرئيس الخالد حافظ الأسد .. تستذكر كل الذين عانقوا تراب الوطن ولبوا نداءات الإنسانية لينفضوا عن كاهلها صدا الكذب والرياء والافتراء ففي السادس من تشرين عام / 1973 / تعانقت الألف العربية وامتزجت الدماء لتعطر أرض الجولان وسيناء مسقطه العديد من جمل الأوهام التلمودية ورأسمة معابر جديدة للأمل العربي وعندما أدرك أعداء الأمة خطر هذه المعابر على أطماعهم بدأ فحيحهم الشيطاني لإغلاق كل مسالك الأمل وانصب جهدهم على ترحيل كل قصص وحكايات البطولات من أيقونات ذاكرة التاريخ فعمل الشيطان الأكبر المتمثل بالتحالف الصهيوني الأمريكي على تضييق مجتمعاتنا العربية بأنغام الإرهاب وخاصة في سورية منذ ثمانينات القرن الماضي وحتى اليوم لإجهاض كل أمل عربي بتوحيد طاقات وقدرات الأمة ورص صفوف أبنائها لمواجهة الأطماع الصهيونية والأمريكية وهاهي الجرائم المصنعة في مخابر واشنطن وتل أبيب تعيث فسادا في المنطقة لتصدع ما أمكنها من محاور ومرتكبات الاهتمام بقضية العرب المركزية فلسطين التي تحاول سكاكين التكفير ذبحها من الوريد إلى الوريد خدمة لخرافات التلمود عبر استهداف قلب العروبة وحسنها الباقي (سورية) المكلفة بأريج دماء الشهداء .. ونتيجة لانفعال منارة العروبة وقلعتها سورية ونفض الإرهاب عن كاهلها يتم حاليا تنفيذ مسلسل التطبيع الذي أخذ أبعاد التصيب رغم علمهم المسبق أن منارة تشرين تبدد ظلمة الإرهاب والتطبيع معا .. ومع ذلك وعلى عتبات محراب ذكرى حرب تشرين لاتزال حناجر السوريين وأبناء الأمة التي تجري في عروقهم دماء العروبة ويفوح من جيبهم شذى الياسمين الدمشقي الموشى بعبق التاريخ تصدح : (.. سورية يا حبيبتي أعدت لي كرامتي .. أعدت لي هويتي ..) فسورية اليوم شعبا وجيشا وقيادة كانت وستبقى هي .. هي تصنع المعجزات وتطوي المسافات لتسمع العالم همسات تراجها وألحان أبنائها الذين كحل العزم أعينهم للتصدي لكل معتد على سيادتها ولتعلن أن أرض الظاهر لا تستباح .. وأن عزتها وكرامتها مصانة بسواعد الرجال .. رجال الله في الميدان الجيش العربي السوري ليسمو وطنهم ويرتفع نحو فضاءات تعانق رحيق النور المتصاعد كل صباح من رائحة تراب سورية ..

إن الشعب السوري سيقطف ثمار تضحيات أبنائه قريبا والتي دونها التاريخ الإنساني ضمن دفاتر حكايات أساطيره فهو الآن وغدا سيبقى يزين همامات أبناء المجد في الميدان هؤلآء لم ترهبهم الخطوب ولم ولن يلامس دوائر بطولاتهم الجدولة فوق قلاع الزمن اليأس لذلك سنبقى سوريين بمفردات كلماتنا نعانق صدر الزمن .. لتسكن الأمجاد السورية الذاكرة العالمية والعربية .

إن سورية التي خرجت منتصرة من كل المؤامرات التي حيكمت ضدها سابقا ستخرج من هذه الأزمة قوية وصلبة بفضل وعي شعبها وإيمانه بوطنه ووحدته .. وأن سورية الجديدة كما عهدناها ستبقى معقل العروبة وحصنها المتبع لذا نستلهم من عبق ذكرى تضحيات الأجداد ومن بطولات حرب تشرين جديد العزم والمضاء لتتويج نضال شعب سورية بكل مكوناته بما هو قريب المنال .. النصر الآتي على كل من سولت لهم أنفسهم المساس بأمن المجد السوري المعنون : أبت ان تذلل النفوس الكرام .

تأتي ذكرى حرب تشرين التحريرية اليوم وقد جمعت مفردات سطورها من نداءات السوريين وعزيمتهم ومقاومتهم وطاقاتهم الجبارة وصمودهم الأسطوري بوجه أعتى هجمة همجية شهدتها التاريخ .. والذاكرة السورية تقصص بين حين وآخر عن أيقونات محملة بالمعاني والدلالات ولاسيما خلال بحثنا عن منظومات الحب والدمع والوداد والياسمين وبوح الكلمات المظطرة بأكائيل الغار والياسمين وكبرياء الذات السورية المتناغمة مع تراتيل مجد الحضارات الإنسانية التي كانت ولا تزال ترهل بنياح المحبة والألفة ونشيد حماة الديار عليكم سلام .

• د. إياس الخطيب

لطالما كان الأدب مرآة الأمم، وانعكاس لتناجها الحضاري، والثقافي، والمعرفي، والمعبر عن رؤى وطموحات وتوجهات أفراد مجتمع ما، ولطالما وجد في الأدب، شاعرا كان أم قاصا أم روائيا أم مسرحيا أو فنانا تشكيليا صوتا معبرا عن هواجس شعب بأكمله، أو فئة منه، وإن كان الأدب الحقيقي عادةً أدبا يلبس لباس الإنسانية جمعاء، وباستطاعته التعبير عن طموحات وآمال وآلام الإنسان.. الإنسان، أينما كان.. وفي كل زمان.. وهذا ما جعل العربي يقرأ الأدب الغربي، والغربي يصول ويجول في بحور الأدب العربي، وقد أفردت قبل ذلك مقالا عن ذلك، تحت عنوان: "الأدب العربي وتأثيره في الأدب الروسي" .. وهذا فقط نموذج من نماذج كثيرة تدل على تلاقح الثقافات، وتأثير الثقافات المختلفة بعضها ببعض، وقد أشرت حينها إلى إعجاب الكاتب الروسي الشهير تولستوي برجال العرب وزهدهم ووعيهم والرحمة التي نزلت على قلوبهم، والتكافل الاجتماعي فيما بينهم، كذلك أشرت إلى تأثر الشاعر الروسي الكبير بوشكين بالأدب العربي، والثقافة العربية، ولاسيما بألف ليلة وليلة، في قصته الشعرية (رسلان ولودميلا). والكثير من الأمثلة، وقد أفردت الآن هذين المائتين على سبيل المثال لا الحصر. ولن أغوص الآن كذلك في مسألة عملية الترجمة، وما الذي أسهمت به، وأين نحن الآن من هذه العملية، فالجديد عن ذلك يطول.. إلا أنني بقصد تسليط الضوء على مسألة الروابط والجمعيات الأدبية العربية، وكيفية إحياء واستنهاض هذه المسألة الملحة من جديد، الملحة أكثر من أي وقت مضى، وسأعل ذلك خلال السطور القادمة!

لا شك بأن الحالة الثقافية لأمة معينة، تمر كغيرها من جوانب المجتمع المختلفة من الإزدهار والانكسار، من التطور والانفتاح إلى الانحسار، ثم العودة إلى الواجهة مجددا، من حالة مستقرة إلى حالة تعهما الفوضى، كجوانب المجتمع المتعددة، الاقتصادية منها، والسياسية، والاجتماعية وغيرها.. ولا شك بأن ذلك يرتبط ويستتبع بشكل مباشر أو غير مباشر حالة الأمة ككل، وتطورها.. من عدمه، فالأمة المستقرة، تشكل بتفوقها هذا بساطا ممهدا أمام الحالة الثقافية، وأمام شعرائها، وأدبائها، ومفقيها، وروايتها، وقاصيها، وفنانيها ليتصدروا الواجهة، ويطلوا على الآخر بمنتهجهم الأدبي والثقافي، ولو كانت هذه الأمة قابعة في أقصى المعمورة، خاصة في زمننا هذا، الذي انتفت فيه عمليا المسافات، بوجود منصات تتيح للأخر الإطلاع على ثقافات الأمم، وما تنتج من أدب وعلم وفن وهو جالس في مكانه.. إذا العامل الفارق في هذا المنحى، هو مدى تطور الدولة وتقديمها في مجتمع دولي، أضحي اليوم عبارة عن قرية صغيرة.

ولكي أوضح أكثر، فأنا أقصد هنا بأن الدولة، أو الأمة المتطورة والمتقدمة تتيح بنسبة أكبر لكتابها وأدبائها الإنفتاح على الآخر (وتسويق نفسه)، ولا أقصد بأن الكاتب يستطيع الإبداع فقط في ظل مجتمع يعم بالرخاء.. وهذا موضوعان منفصلان تماما، ولن أغوص في كل منهما، لكنني أستطيع أن أدل على ذلك من خلال أدب الحروب، وما أنتج من أدب خلال فترات من الحروب والفوضى مرت بها دول ومجتمعات، وما خطته أنامل الأدباء والفنانين والكتاب من شعر ونثر وفن تشكيلي وغير ذلك من أنواع الفنون.. ولكي أكون أكثر وضوحا، فتعالوا معي لنطرح على أنفسنا هذا السؤال: أين نحن من كل ذلك؟!

أين نحن من كل ذلك؟ في يوم ما (وهنا لا أقص قصة، بل أذكر حقائق) وتحديدا ابتداء منذ القرن الثامن ميلادي إلى نهاية القرن الخامس عشر الميلادي -ثمانية قرون- اشتغل فيها علماء العرب بالعلوم الإنسانية، والعلوم الطبيعية، والعلوم الطبية والرياضية، وسائر المعارف، ناهيك عن الآداب والفنون. فكانت المحصلة تراثا عربيا ضخما، ومكتبات حوت آلاف المخطوطات والمجلدات، نذكر منها -على سبيل التمثيل لا الحصر- مكتبة قرطبة في الأندلس أيام المستنصر، وقد قيل أنها كانت تضم أربعمائة ألف مجلد عن طريق وكلائه في شتى الأقطار الإسلامية حينها، وكانت (دار العلم)

نحو نهضة عربية ثقافية جديدة ..

قراءات

الأسبوع الأدبي - السنة الواحدة والثلاثون العدد، "1700" الأحد 18/10/2020م - 30 محرم 1442

السنوات الخمس القادمة 2020-2025م بقدر ما سيكون لنا وزن في ظل النظام الذي بدأ يخط ملامحه للتو.

ولكي لا أتشعب في هذا الحديث الآن، حيث سأخذني الاستطراد في الكلام عن هذا الموضوع إلى الدخول في الحالة السياسية والاقتصادية للدول والتي قادتنا وتعودنا إلى الولوج في نظام عالمي جديد، فسأترك الكلام عن هذا جانبا (ربما في مقالة منفصلة سأتكلم عن ذلك)، وسأبقى ضمن الحالة الثقافية المنشودة في القادم من الأيام، والنهضة العربية الأدبية المنتظرة، والدور الملحق على الأدباء في هذه الفترة المفضلية في تاريخ الشعوب (ربما إذا كنا لاندرک هذا الآن، فإننا حتما سنتذكر ذلك ونذكره بعد مرور القليل من الأعوام)، ولهذا فالدور الملحق على المثقف والأديب كبير، وهو القادر على استقراء الواقع، واستشرافه، والنظر إلى الأمام، وهذا ما قادني في بداية الحديث وكتابة هذه السطور، إلى التطرق إلى ظاهرة الروابط الأدبية العربية، التي يجب أن تبرغ اليوم وأن تعود إلى الواجهة أكثر من أي يوم مضى، كي يرى الأدباء والمثقفون أنفسهم في قادم الأيام هم الذين يمارسون دور القيادة والقرار في المجتمع، وكما يقال: لا يوجد هناك فرصة عظيمة، يوجد فرصة عادية، تستغلها، فتصبح عظيمة.

إضاءة لا بد منها!

كل ذلك جعلني أستذكر أهم الروابط الأدبية التي تشكلت في عالنا العربي، منها الرابطة القلمية، فمنذ الربع الأول من القرن العشرين شهدت الثقافة العربية ولادة الروابط الأدبية، أولا مع "الرابطة القلمية" التي تأسست في نيويورك رسميا سنة 1920، على إثر جلسات في بيت كل من عبدا لمسيح حداد (صحلي كان يصدر صحيفة "السائح") وجبران خليل جبران، وضمت الاجتماعات كلا من: جبران، إيليا أبو ماضي، نسيب عريضة، رشيد أيوب، عبدالمسيح حداد، نذرة حداد، إياس عطا الله، ولیم كاتسيفليس، وميخائيل نعيمة، وحسب الأخير في مذكراته فإن محضر التأسيس دون بقلمه.

وفي هذا السياق، لا بد من الإشارة إلى أن نشوء "الرابطة القلمية" استدعى ولادة منابر أدبية وثقافية منها مجلة "الفنون" وناشرها نسيب عريضة، جريدة "السائح" وناشرها عبدالمسيح حداد، ومجلة "السمير" وناشرها إيليا أبو ماضي. والحال ينطبق على جماعة أبولو التي تشكلت في القاهرة سنة 1932، وهي جماعة شعرية رومانتيكية كان لسان حالها مجلة "أبولو" ومؤسسها هو الشاعر أحمد زكي أبو شادي وضمت أعلاما مصريين وعربا من أمثال إبراهيم ناجي، وعلي محمود طه، وأبي القاسم الشابي، وآخرين.

بعد عام واحد من نشوء جماعة أبولو تأسست "العصبة الأندلسية" في مدينة ساو باولو بالبرازيل على يدي الشاعر اللبناني المهاجر ميشيل نعمان وشفيق معلوف، وعاشت زمنا أطول من رابطة جبران، وقد ترأسها بعد رحيل مؤسسها الشاعر القروي رشيد سليم الخوري وذلك بدءا من سنة 1958. وكان من بين أبرز أعضائها الشعراء فوزي معلوف وإلياس فرحات.

مع منتصف القرن الماضي توقف تأسيس العصب والجمعيات الأدبية في المهجر وكان آخرها جمعية "النادي الفينيقي" التي أسسها عقل الجحر، وكان من بين أعضائها ميشيل معلوف.

لعب أدباء المهجر بانفتاحهم على تجارب الثقافات الأميركية دورا أساسيا في إلهام الأدباء العرب تأسيس الجمعيات والنوادي الأدبية. وسوف يشهد العالم العربي في النصف الثاني من القرن العشرين قيام عشرات الجمعيات والنوادي والجماعات الأدبية من دمشق إلى صنعاء ومن القاهرة إلى الدار البيضاء ومن بغداد إلى بيروت. ومما لا شك فيه أن هذه الجمعيات التي جمعت أدباء متعددي الاتجاهات الفكرية والمشارب الأدبية والسياسية، لعبت أدوارا بالغة الأهمية في نهضة الأدب العربي.

نأمل أن تكون أمام نهضة عربية ثقافية جديدة.. ومتجددة.. تساهم في قيادة المجتمعات إلى أماكن مضيئة بالرقى.. والانفتاح.. والحضارة!

التي أنشأها الفاضليون، في مصر، من أعظم الخزائن التي عرفها العالم، وأكثرها جمعا للكتب النفيسة من جميع العلوم. لكم أن تتصوروا كم كانت خزائن (دار الحكمة) التي أنشأها الخليفة العباسي المنصور، في بغداد، تضم من مؤلفات. هذا سوى الخزائن والمكتبات العامة والخاصة التي لا عد لها ولا حصر.. إلا أن عاديات الزمن، وسقوط بغداد في أيدي التتار، وحرب الإستراداد في الأندلس.. كانت كلها نذير شؤم للتراث الذي خلفه الأقدمون. لقد روي أن مياه دجلة جرت سوداء من كثرة ما ألقى فيها من الكتب والصحائف، ويأمر من الكاردينال (فرنسيسكو). عراف الملكة (إيزابيل) فاتحة غرناطة، أحرقت آلاف الكتب العربية، لا سيما ما كان متصلا منها بالأدب أو الفكر أو الدين. وأكثر الباحثين حذرا وعظفا على الكاردينال يقدرونها بثمانين ألفا..

وما أفلت من عاديات الزمن، وتوفرت عنه أو منه بعض معلومات موثقة، يشغل في يومنا هذا مكانا يتفاوت ضخامة وضلالة في مكتبات العالم الكبرى، من مكتبة الإسكوريال، إلى المكتبة العامة في مدينة (ألتا آتا). كازاخستان، وإلى مكتبة الجامعة الكاثوليكية الأمريكية في واشنطن، إلى مئات المكتبات العامة والخاصة..

انتصار الأمم يستدعي بالضرورة انتشار ثقافتها ولغتها كذلك، ففي يوم ما سادت اللغة اليونانية وثقافتها العالم، وسادت اللغة العربية والأدب العربي خلال فترة من الزمن كانت تقوص أوروبا فيه حينها في بحور من الجهل (وقد أكد علماء الغرب المنصفون أن الأوربيين تناولوا مشعل العلم من أيدي العرب حين اتصلوا بهم واطلعوا على حضارتهم، فاستأذوا بعد ظلمة، وبلغوا به بعد ذلك ما بلغوه من هذا التقدم العلمي العظيم الذي يعيشون فيه اليوم، ولولا هذا الاطلاع وهذا الاحتكاك لظلت أوروبا، ربما لقرون عديدة أخرى تعيش في الظلام والجهالة التي رانت عليها في العصور الوسطى. وقد أجمل المؤرخ الفرنسي جوستاف لويون في كتابه حضارة العرب (1) تأثير حضارة العرب في الغرب وأرجع فضل حضارة أوروبا الغربية إليها وقال: إن تأثير هذه الحضارة بتعاليمها العلمية والأدبية والأخلاقية عظيم ولا يتأتى للمرء معرفة التأثير العظيم الذي أزره العرب في الغرب إلا إذا تصور حالة أوروبا في الزمن الذي دخلت فيه الحضارة. وأضاف لويون، بأن عهد الجهالة قد طال في أوروبا العصور الوسطى، وأن بعض العقول المستنيرة فيها لما شعرت بالحاجة إلى نفض الجهالة عنها، طرقت أبواب العرب يستهدونهم ما يحتاجون إليه لأنهم كانوا وحدهم سادة العلم في ذلك العهد.)

واليوم في ظل التفوق الغربي التكنولوجي والمعرفي، نرى أوروبا وأمريكا يغزوان العالم بلغتهما الإنكليزية وتقنيتاهما التكنولوجية التقدمية الحرارة، ويقال: لو انتصرت ألمانيا في الحرب العالمية الثانية، لغزت اللغة الألمانية أصقاعا شاسعة من هذه المعمورة..

وبالتوازي مع ذلك، دخل العرب في حالة من السبات، جرت معها نتائج كارثية على جميع المستويات، ولن أدخل هنا في لغة الأرقام (الكارثية بالمعنى الحقيقي للكلمة)، لكن أقول بأن جميع الإحصائيات والأرقام، تشير إلى تراجع الناتج العربي بجميع أوجهه، فتصنيف الجامعات العربية طار.. ولكن إلى الخلف متراجعا، وحركة الترجمة العربية قلت إلى الحد الأدنى (مقارنة بما يترجمه وينتجه الغرب)، والكثير من دور الترجمة، والتي صالت في يوم وجالت وحقتت حضورا مميزا اندثرت وتوقفت عجلتها عن الدوران، والبحوث العربية تكاد تكون معدومة أمام الناتج العالمي للبحوث والدراسات العالمية، وما وددت الإشارة إلى أن البريطاني يقرأ في السنة 11 كتابا، والأمريكي 9 كتب، والعربي ربع صفحة.. فهذه إحصائية أضحت معلومة عند الكثيرين.

في ظل مجتمع حالي متحول ومتغير يعيشه اليوم، حيث سنتنقل فيه عوامل القوى من مجتمع -غربي أمريكي- صرف مهيم منذ أربعينيات القرن الماضي، إلى نظام عالمي جديد، سيبرز فيه دور قوى ودول جديدة، وسيأفل نجم دول سادت زمنا، نجد أنفسنا أمام تحد وفرصة جديدة للنهوض، فبقدر ما سنسهم برسم معالم العالم الجديد القادم، خاصة خلال

الشاعر المصري أحمد حافظ؛ حفيد المرثي.. يرتقي جبل الشعر

• د. عبد المطلب محمود

أحمد حافظ شاعر مصري من شبان الشعراء العرب، الطالعين في جبل شعري يواجه صعوبات حياة تتأكلها بعد عقود من سني الحروب، صعوبات مواجهة الحياة نفسها بما شاع فيها من ظلم وفساد، سعياً وراء حرية حقّة لوطن وفي وطن، ولناس مسحوقين تحت عجلات ظروف معقدة شائكة، تحول دون وصولهم - الحق الطبيعي - إلى مظالمهم النبيلة، بعيداً عن هذه الظروف وان في جحيمها وفي صميمها، لا خارجها حيث السكينة وعدم المبالاة وغض النظر عما يجري ويدور.

وإذا شاء أحمد أن يتخذ لديوانه الأول تريباً (سلاماً أيها الجبل)، وحسبته أراد أن ينأى بنفسه عما يجري ويدور، تبين عبر قصائده الخمسة والعشرين أنه لم يكن كذلك، بل شاء أن يرتقي جبل الشعر ويطلع علينا من فوق قمته أو إحدى تلاله المنبتقة عنه، ليطلعنا على هموم جيله الموروثة عن سبقتهم من أجيال، والمستجدة عما يعيشه ويعاني منه، لأنه بحسب أحد تصديرين قدم بهما لديوانه، انتزع من الفرنسي المفكر جان بول سارتر - فيلسوف الوجودية - مقولته: (من لا يجدف هو الوحيد الذي بإمكانه أرجحة القارب). بما تحمله من مداخل خفية تشير إلى ضرورة عدم ركون من لا يملك وسيلة لدفع قارب الحياة إلى السكينة وانتظار الآتي، بل يمكنهم عبر "أرجحة" القارب في الأقل أن يسهموا بدورهم في تحريكه ومنعه من السير الرتيب الشبيه بالموت البطيء.

لذلك، ومن أجل ذلك الفعل الضروري، سيهدي قصيدته الأولى (الخطابون) إلى رفاقه "حاملي الشموع في ضريح العالم"، وسيدأها بتوجيه سلامه إلى ربّ وقف لديه بإجلال، دلالة على روحه العامرة بالإيمان والثقة بالله العظيم، على الرغم من دوال فقر الحال وضنك العيش الذي وجد نفسه فيه: "سلاماً على ربّ وقفت بإجلال/ لديه.. وأسماي تزلّم أسماي"، ثم سيفتح أمامنا مغاليق أعماقه ليخبرنا بمن يكون: "أنا صرخة عمياء.. لا ردني صدى/ ولا أحد في هذه الأرض أصفي لي"، ثم ليخبرنا عن أبناء جيله: "رفاقي خطابون في غابة/ لهم ملامح إنسان بأنياب أحوال/ وأجنحة/ مثل الفراشات - غضة/ وأسئلة غصبي لها وقع زلزال"، ثم ليختتمها ب: "لهم حيثما كانوا../ أحن محبة/ وأربط في رجل الحمامة رسالي" (1)، متملاً بمرجعية من بعض ما عرفنا عن نبي الله (نوح) وإطلاقه الحمامة التي هدته إلى الأرض بعد ذلك الطوفان الشهير.

ولن يكتفي الشاعر (أحمد حافظ) بهذا، بل سيخبرنا بالمزيد في قصيدته الثانية (إلى سدرة الأشراق)، بما دل عليه عنوانها من مرجعية صوفية: "أنا الطائش المجنون/ ظلي حقيقيتي/ وقلبي موسيقى/ وروحي حدائق/.../ أمير على عرش الخسارات/ لم يزل بكفيه أضفار/ ومولاه سارق"، أما رفاقه هذه المرة أيضاً فهم: "إلى سدرة الأشراق/ أقدامهم مشّت على مهلها/ كل الجهات حدائق"، ثم سيختتمها بتقرير حقيقة إيمانية ارتبطت دائماً بأعماق المتصوفة: "سأكتب أن الله مازال واسعاً/ لأن يتمشى في حواريه عاشق" (2)، فهو بهذا ليس وحده بل له ومعه صحب كثيرون يماثلونه، وهو بعد هذا لا يبدو، أو لا يريد أن يبدو - شخصاني الرؤى والتصورات، فيكون خارج سرب المسحوقين المهتمين قنبو الهوم التي ينقلها إلى متلقيه ضئيلة محدودة الفضاء، هامشية لا تعني سواه. وإذ يبدو في قصيدة (سيرة عن فتى ما) خارج هذا الهمم الجمعي، لأنه سيحكى: "عن فتى لم تعرفوه/ تفتياً مرة ظل النخيل/ هو الأعمى الذي اقترفته أنثى الحياة/ فتاه خلف المستحيل"، الذي سيزعم أنه وحده المتعب من مجربات الحياة: "تعبت من الطريق/ وكل درب أجرب../ ليس يومئ بالوصول"، ويزعم في



قصيدة (ابن الماء) أنه: "أنا ابن الماء مُكتملاً/ وأول معجزات أبي" ويواصل: "أسرى بي الشعر/ والمعراج سافر بي في الله/ والزمن الأمي ما قرأ"، وسيضعنا ثانية أمام جيله كله وأبرز ما يواجهه من همومه، في قصيدة (حديث الغريباء) التي سيعود صوته الجمعي ليعلن بوضوح: "نخل/ يربط قلب الحياة/ ومعنى عصي على المضردات/ خرجنا من البوصلات اتجاهاً/ يؤدي إلى الله.. لا للطفاء" (3).

وسيفعل هذا الشاعر المدهش الشيء نفسه، في قصيدته العاشرة والحادية عشرة، وهما من شعر التفعيلة، إذ سيدو في أولهما (سوف أبقى على جبلي) ابتداءً من تريبها هذه، شخصانياً في توجهاته الرئيسية فيها: "جلست/ على قمة في الجبال/ ولست أبالي بما سوف يحدث/ أتبع صوت السؤال إلى نبعه/ وأطل على عالم خرب في هدوء/ بعينين مخمورتين/ وقلب يرش محبته فوق أسماكم/ وبلا أي داع أقول لكم: / (لا أسير إلى التبع مثل ظباء مغلطة/ والذئاب بأعينها الجمر تنظر لي..)، ويؤكد أنه سيبقى على جبله واقفاً يتلقى النبوءات، ولا يتصدع حين تجرحه الحرب، لكنه سرعان ما يظهر بوجهه الآخر وصوته الآخر الزاخر بالنبل: "لكنني أتصدع من دموعه وحين/ يمران مر المغول على جسدي/ الضياع أبي../ والعذاب رفيقي الذي ليس يرتحل/ وكأي حذاء أسير.. ولا أصل"، وسيدو في ثانيتهما (غريبان على الباب)، صوتاً لهوم عاشقين جدا نفسيهما في حالة من التقاطع - التلاقي الدال على تكوين جمعي بالضرورة، فإذ بدأ القصيدة بنفسه/ غريباً أول: "أنا تائه في بلاد مؤجلة/ وفي ضائع في أناشيد مهجورة/ ويداى مقيدتان.."، انتقل إلى الغريبة الثانية التي ستشاركه في ما هو فيه: "وأنت مشتتة الخطو خائفة/ تحملين على خجل بالحبّة في وطن جامد/ تحملين أغاني في قلبك الرحب/ للعائدين من الحرب منتصرين/ وتنتظرين بلا طائل../ فكلانا غريباً، ليدعوا إلى عالم أرحب أو وطن أجمل يؤسسان فيه معا: "حزبا من القبلات"، ويكتبان: "عن ثورة لم تطأها الحناجر/ بمدليله ويا له هذا الدال (تطأها الحناجر) بمدليله المشحونة بالألم من (الأناشيد) الموبوءة بالزيف والمكتنزة بما لا ينفع، التي تدوس على رقاب أمثالهم من المهثورين التانهين.

ولي أن أقف أخيراً على قصيدة (العارف)، التي استعاد فيها هذا ال (أحمد حافظ) صوته الصوي الصاي، وأحسبه لم يجد سواه ملجأ في الفضاء العام المحيط به وبأمثاله، مثلما آل إليه حال متصوفة عصر الانحطاط المعروف في تاريخنا العربي، إذ سيقول: "أنا حفيد المرثي/ كلما انفكأت في القلب باكية/ تندأح باكية/ وكلما أوشك النسيان../ قلت له: لي في أقاصي البدايات ذاكرة/ لي شامة في جبين الأرض ناعسة/ ولي سماء بأهل الله أهلة" (4).. وتكفي هذه (الهاءات) المتواترة في (أهل/ الله/ أهلة) دالاً متضاداً بانفتاحه مع ما في حرف (الهاء) من التفاف يوحي بالضييق والدوران المنقلب على نفسه، بما يدفع إلى مدلول الأمل بالله وبالشفاء المؤمنين الطيبين.

• شاعر وأكاديمي. العراق

د. حسن حميد

يوسف إدريس.. أخيراً!

عدت في المساء..

لأقابل د. يوسف إدريس، فرأيت شخصاً آخر غير ذلك الذي رأيته وسمعته في اليوم السابق، كان جدياً تماماً، لا ابتساماً وسيعية، ولا ترحيب فائض الدلالة، قلت له، لقد أتيت يا أستاذ! فقال: وأنا أنتظر، وقد هيات نفسي للامتحان! فابتسمت، وقلت: أي امتحان يا أستاذ، نحن نتمنى لو أن الدنيا تضحك لنا فتصير علي ربع ما أنت عليه من شهرة، وإبداع، وحضور. قال مبتسماً: أنت تقوي معنوياتي! وضحكنا معا.

فعلاً كان أشبه بالطالب الذي يهجم بالدخول إلى قاعة الامتحان، كان حذراً، ومحتطاً، ويقظاً على نحو لم أره عليه في اليوم السابق، فقد كانت الصبايا، وكان أهل الإعلام حوله مثل أعواد النزل التي تحيط بالغدوان، وكانت ضحكته المجلجلة تملأ فضاء الغرفة، أعني الجناح الواسع، وكان يجيب عن الأسئلة السريعة جداً بإجابات سريعة جداً أيضاً، سمعت بعضاً من هم حوله يسألونه إن كان يلعب رياضة، وأي الرياضات هي المفضلة عنده، وما هو برجه، وأي الألوان يحب ويفضل، وما هي طبيعة علاقته بالمثلثين والمثلثات، وهل أفسدت السينما نصوصه الأدبية، وما هو برنامجه اليومي؟!

المهم جالست د. يوسف إدريس وحيداً، في البداية، ولكن حين تقدم الوقت علينا، جاء اثنان من العاملين في الصحافة، وكنت أعرفهما، وكنا على موعد مع د. يوسف إدريس، فأذن بدخولهما، ومن فورهما، وضعا آلتني تسجيل بيبي وبينه، وأنا ما زلت أسأل، وهو يجيب، وقد أخذنا الوقت مرة أخرى، حوالي ساعة، والرجل يجيب عن أسئلتي، وألتنا التسجيل تسجيلان ما يقوله الدكتور يوسف إدريس، وحين انتهيت من أسئلتي، وأخذت إجاباتها، شعرت بالظفر، فشكرت د. إدريس طويلاً لأنه منحني شرف مقابله، وقد استغدت كثيراً من هذه المقابلة ووقتها لأنني كنت أراقب كل حركة من حركاته، وأحس بأنفاسه، وأدرك معاني نظراته وتعابير وجهه، وهيئة جلوسه، وحركة يديه!

طبعاً كانت أسئلتي عن المشهد الثقافي، الأدبي تحديداً، قبل أن يعلن د. إدريس عن نفسه أديباً من خلال نشره للمجموعة القصصية الأولى /أرخص ليال/، وأن يقول لي رأيه في الكتابات القصصية التي سبقت تجربته، كتابات: نجيب محفوظ، ومحمود تيمور، وأمين يوسف غراب، وكيف أدار ظهره لكل تلك التجارب أسلوباً، وموضوعاً، وتقنيات، وهل كان الأمر جرأة شباب متحمس أم كان نهجاً جديداً؟!

سألت د. إدريس أسئلة كثيرة جداً، لذلك كان يسألني، وقد امتد بنا الوقت طويلاً، أكل هذا حوار لصحيفة أدبية؟! والحق أنني أردت أن أعرف الرجل وتجربته الأدبية وأحلامه، ولعل أهمها أنه كان يعرف بأنه مرشح لجائزة نوبل، وكان الإعلام العربي لا يعرف، وكان هو يخفي الأمر، ولم يعرف أحد بهذا الشأن إلا عندما انفجر د. يوسف إدريس غضباً عام 1988، أي بعد سنتين من حوار معي، حين فاز الكاتب الكبير نجيب محفوظ بجائزة نوبل، فقال د. إدريس إن شياطين، يعرفها، هي التي أخذت منه الجائزة، وأن مواقف وقفها نجيب محفوظ هي التي رجحت كفته لدى أهل جائزة نوبل، وهو لا يستطيع أن يقفها، بل لا يستطيع أن يفكر بها، وقد أشار، في لحظة انفجاره، إلى أن ما قاله نجيب محفوظ عن السلام، والكيان الصهيوني ومآلاته الأخيرة، هو الذي منحه جائزة نوبل، وليس أدبه. والحق أن نجيب محفوظ جدير بالجائزة، مثلما هو د. إدريس جدير بها، ومثلما هي أسماء أدبية عربية كثيرة كان بإمكانها أن تأخذ الجائزة لو كان للموضوعية مكانتها وهيبتها، مثل د. عبد السلام العجيلي، ونزار قباني، وحنا مينة، وأدونيس، والطيب صالح..

أعود إلى مقابلي مع د. يوسف إدريس، فأشير إلى بعض الأمور التي لا يمكن أن تنشر في مقابلة أدبية، ولا سيما حين سألته عن أدباء السرد في مصر والبلاد العربية، فقد كان قاسياً في أحكامه. فهو ضد الكميات لأن الكميات مكانها في الأسواق، كما قال، وليس منصات الإبداع والأدب، يقول: قصة واحدة ناجحة تعرف بصاحبها وثقافته وما يريد طرحه تساوي أكياس خيش ملأى بقصص لا قيمة لها، ولكن الإعلام من جهة، وأصحاب هذه القصص من جهة أخرى، وأصحاب المنابر والمنتديات من جهة ثالثة لا يريدون التفريق ما بين الكم والنوعية، وقال لي إنه يساهر نصه القصصي أياما حتى يرضى عنه بعد أن يكتبه، وبعد أن يطلع عليه المقربين منه، ويترتب في النشر حتى لورضي عنه كي لا يندم، وأن الصحافة والمجلات وكلمات المديح كلها لم تغرر به يوماً، وهذا ينطبق على مسرحه، وأعماله التي أخذت إلى السينما، وأنه لا يتدخل في آراء الآخرين تجاه أعماله، ولكنه إن أحس بالظلم فهو ثائر لا يهاب شيئاً، وقد فعل مثل هذا مرات لأنه يعرف قيمة نصوصه، ويعرف كيف يدافع عنها أيضاً.

آراء كثيرة قالها في تجارب أدبية ذائعة الصيت والشهرة في مصر، وهي آراء قاسية جداً، آراء في تجارب شعرية، ومسرحية، وروائية، وكان يسهب في شرح الأسباب التي جعلته يقول مثل هذه الآراء القاسية، وحول العامية في كتاباته، قال، وهذا لم أنشره في الحوار، أن اللهجة المحلية المصرية، وكما يرى، هي لغة قومية، لأن من يتحدث بها هم ملايين، وسوف يتضاعفون، وأنه من غير الإنصاف الحديث عن اللهجة المصرية بوصفها لهجة يتخاطب بها المصريون داخلياً، لأن هذه اللهجة منتشرة في الكثير من الجغرافيات العربية، وقد أسهمت بنشرها الفنون المصرية الأخرى مثل السينما والمسرح والمسلسلات التلفزيونية، وهي لغة، كما يقول، مفهومة وسلسة وقادرة على الوصول إلى جميع الناس من أجل التفاهم على أمور كثيرة في هذه الحياة، وأن هذه اللغة المصرية، كما يقول، لا تعني أقلية، ولا تعني تاريخاً خاصاً بالفراعنة مثلاً، وأن اللغة العربية لغة دواوين وخطاب، وأما اللهجة المصرية، التي يسميها ب اللغة، فهي لغة الحديث والتفاهم، وهي تلعب دوراً أهم في الحياة من دور لغة الدواوين والخطاب، (طبعاً هذا الرأي لا يؤيده سواه) وقال لي إنه يعد في مصر واحداً من محرري المرأة، وهو لم يسع إلى تشييء المرأة أو جعلها سلعة حين تحدث عن جمالها، فالحديث عن جمال المرأة هو حديث عن أهم مقوم من مقومات الشخصية الأنثوية، وهو لم يتحدث عن السياسة في كتاباته، لأن الحديث عن السياسة يقع في مكان آخر، والأدب يخص الحياة، والناس، والقيم، أما عالم السياسة فهو عالم خارج الحياة ويعيد عن الناس، مثلما هو بعيد عن القيم!

وبعد، كان حوار مع د. يوسف إدريس، تجربة أدبية كبيرة ليس من الناحية الإعلامية والحديث عن الأدب إعلامياً، وإنما تجربة أدخلتني إلى مختبر لغوي وإبداعي وأدبي شديد الأهمية والثراء!

الواتس أب . بين الفوائد والأضرار

• د. أحمد زياد محبّك

انتشار الواتس أب

في عام 2009 قام كل من بريان أكتون الأمريكي وجان كوم الأوكراني الروسي المهاجر إلى أمريكا بتأسيس الواتس أب WhatsApp. وهما موظفان سابقان في موقع ياهو، وفي عام 2014 اشترت شركة الفيس بوك الواتس أب بمبلغ 19 مليار دولار، ويبلغ عدد المشتركين في الواتس أب مليار مشترك في 180 دولة، ويبلغ اليوم دخل جان كوم أكثر من ستة مليارات دولار، وكان يعمل عامل تنظيفات في محل بولاية ماونت فيو بولاية كاليفورنيا، والواتس أب هو وسيلة تواصل بين الناس سريعة وقليلة الكلفة، مثله مثل برامج تواصل واتصال أخرى منها الفيس بوك. وتعني واتس أب ما الجديد؟ ولم يضع العرب لها ترجمة، وشاعت الكلمة على الألسن، بسهولة لظقتها، ولو اقترحت مجامع اللغة العربية ترجمة فلن تنتشر، فلقد استقر المصطلح، ولا ضير في هذا، فقد ترجم العرب قديما في العصر العباسي مصطلحات كثيرة من مثل موسيقى وفلسفة وهرطقة وخيمياء وغيرها. وأصبح الواتس أب الشغل الشاغل للناس، فهو يتيح لهم إمكانية التواصل مع القريب والبعيد، بكلفة بسيطة جدا، لا تكاد تذكر، وهم في هذا التواصل يرسلون الرسائل المكتوبة والمسجلة بالصوت ويتبادلون الصور والوثائق والأشرطة المسجلة القصيرة، ويتكلمون ويرى بعضهم بعضهم الآخر ولو بين قارة وقارة، أو بين غرفة وغرفة، وبظل ذلك كله مسجلا عندهم، وثيقة يحتفظون بها، أو للذكرى، أو للاستعادة والاستمتاع.

فوائد الواتس أب

لقد ألقى الواتس المسافات المكانية والأبعاد الزمانية، وحقق لقاء الإنسان بالإنسان، وكسر الشعور بالعزلة، وأقام التواصل بين المغتربين، وساعدهم على الاطمئنان، وأعان الإنسان على قضاء كثير من حوائجه، وبث كثير من مشاعره وعواطفه، ونقل كثير من أخباره وأفكاره، وتبادل المعلومات والحقائق، وتحقيق قدر كبير من التسلية وترجية الوقت، من غير كلفة كبيرة، ومن غير مشقة ولا عناء.

فكم ابن مسافر تواصل مع أمه وأبيه دقائق طويلة بكلفة لا تكاد تذكر، وكم من وثيقة جرى نقل صورة عنها من بلد إلى بلد، أو حفظ صورة عنها على الأقل، بل كم من سيدة ذهبت إلى عملها، ثم سارعت إلى الاطمئنان على بيتها بالاتصال عبر الواتس بالخدمة في البيت، وكم من سيدة في البيت اشترت حاجتها من المجمع التجاري عبر الواتس أب، بل كم من تاجر عرض بضاعته على الواتس، واتصل مع الزبائن وعقد صفقات الشراء عبر الواتس أب.

ومن الفوائد الطريفة أن بعض الذين تركوا المدرسة في المرحلة الابتدائية، ولم يتابعوا تحصيلهم التعليمي، وانقطعوا عن القراءة والكتابة، حتى كادوا ينسونها، أو ينسوا مهارة القراءة والكتابة، قد عادوا إلى القراءة والكتابة بفضل الواتس الذي ساعدهم على استعادة مهارتهم في القراءة والكتابة. ويقدم الواتس معلومات دينية وطبية وعلمية وتاريخية وجغرافية من خلال أشرطة تسجيل مرئية أو مسموعة أو من خلال صور، تطلع المرء على أمور في العالم ما كان له أن يطلع عليها، لولا هذه الشبكة، قد لا تكون معمقة أو تخصصية، ولكنها تقدم معلومات تفيد إذا أحسن المرء الاستفادة منها، وفوائد الواتس في الحقيقة كثيرة.

أضرار الواتس أب

ولكن، يقدر ما للواتس أب من فوائد، يقدر ما له من أضرار، بل لعل أضراره أكبر من فوائده، وهذه الأضرار لا تنشأ عنه، فهو وسيلة محايدة، لا تضر بذاتها، ولا تنفع، وإنما يصدر النفع أو الضرر عن مستعمله، كيف يستعمله؟ وفي أي غرض؟ فالأشياء في حد ذاتها لا تضر ولا تنفع.

ولعل من أبرز أضراره الإدمان عليه، فهو يقود إلى العزلة عن الناس، وعدم اللقاء مع الآخرين، والافتقار بالتواصل مهم عبر الواتس، وهو بذلك يحرم الإنسان من دفة العلاقة الإنسانية، وجمال لقاء الإنسان بالإنسان وجها لوجه، والإحساس الحي بحضوره، فالإدمان على الواتس يقود إلى الشعور بالخبثية، والإحساس بالعزلة، فالتواصل عبر الواتس وحده يفقد الكلام عفويته وصدقه وحرارته، حتى لو كان الكلام مباشرة بالصوت والصورة، أما إذا كان التواصل بالكتابة فهو أكثر جفافا، وهو بطيء، ومتعب.

ولذلك قل تبادل الزيارات بين الأهل والأقارب والأصدقاء، وقلت اللقاءات في المقهى أو المطعم أو النزهة، بل بعضها انقطع عند بعض الناس، واكتفوا بالسلام والتحية عبر الواتس، ولا سيما في المناسبات الرسمية، كالأعياد، إذ يكتفون بالتهنئة، ويعتذرون بسبب ضيق الوقت، وكثرة المشاغل والأعمال.

بل إن أفراد الأسرة باتوا لا يجتمعون في السهرة، بل أصبح كل منهم يخلو إلى نفسه في غرفته مع الواتس، وإذا ما اجتمعوا فلا حديث يدور بينهم، كل واحد منهم ممسك بهاتفه الجوال، وهو ماض في التراسل مع صديقه على الواتس، أو مع أصدقائه. ولذلك ففترت العلاقات الأسرية، وضعفت، وغاب الحوار بين أفراد الأسرة، بل حل مكانه الشك، والقلق، والعتب، ولا سيما بين الزوجين، فكل منهما يغار من انصراف الآخر عنه إلى الاهتمام بالواتس، بل إن كلا منهما يشك في الآخر، مع من يتكلم؟ وحول ماذا؟ حتى إن الأمر تطور إلى سوء الظن، ثم تطور إلى الخلاف، فالطلاق.

وقد نال الضرر أكثر ما نال الطلاب، في مختلف المراحل العمرية، إذ تجدهم متعلقين بالواتس، مدمنين عليه، منصرفين عن دروسهم، ولا يستطيع المعلم توجيههم، ولا تنصح توجيهاته، ولا تستطيع الإدارة معهم أو السيطرة عليهم، وأكثر ما يكون

ليس في المشهد الثقافي، في ظل معاناة الناس القاسية التي تستهدف وجودهم، وتمعن في انسداد الرؤى التي تطمح للخروج من سراديب المتغيرات ذات المساس بلقمة العيش وانتزاع الفرص من أقباض الجمود والتردي، ليس في هذا المشهد ما يعيد الأمل إلى تجاوز المشكلات الحاكمة على مسارات الفكر في مظهراته الثقافية والاجتماعية والنفسية. ولعل الشعر هو من أكثر الفنون في حاجة إلى المراجعة، سيما والذائقة الشعرية قد غزاها الارتجال والازدحام خاصة على شبكات التواصل الاجتماعي، حيث لا رقابة ولا حدود على ما ينشره المنتعجون للمبارزات على شهادات التميز والابتكار دون حدود وخارج المعايير المعروفة. وتبدو هنا مقولة شيلر واضحة حيث قال: في عصور الضعف والانحطاط يظهر الواحد منهم أنه لا يترجم سوى مشاعره، ومع ذلك يقنع بعضهم أو أنه يقنع نفسه في مادته تلك كأنه أحرز كشفا لم يسبقه إليه أحد.

كثيراً ما جلب الشعر لغير المهووبين الهزء حينما يرى (الشاعر) نفسه شخصاً فريداً من نوعه. ومع هذا فلا بد من وجود قصائد مبهرة مبنية ومعنى يعبر أصحابها إلى أجواء الشعر غير هيبان إذا كان للقصيدة أن تتجاوز المألوف والسائد ولبت ما يحتاجه النص بأن يمر ليس انتظاماً، بل عفوية (في لحظات من الذهول والانخفاف والرؤى)، بذلك يضع هذا المسار حداً ضرورياً بين عمليات اغتصاب

اللغة وتوظيفها توظيفاً شكلياً فلا تكون غير افتعال للصورة، والفرق شديد بين الافتعال والانفعال، بحيث يقع النص في فخ الاتكاء على مقولات قد أحسن توظيفها لدى شاعر ما، فيخطف المقلدون هذا النجاح في تكرار واجترار واضحين مع التحسين في النبرة أو تصعيدها حتى تصبح تلك النسخة المقبركة أكثر منبرية إلى أن تصير العبارة مجرد علكة لا تفرز في فم مستخدمها غير اللعاب، فتصدق الحكمة اليونانية، حيث تقول: إن شيئاً لا يخرج من لا شيء. فإذا كان الفضاء في عصور ما قبل الإسلام وما بعده يقليل في صحراء شاسعة تنكسر فيه الأمكنة ولا تعوز الشاعر ثقافة متعددة المستويات فلا يحوز على الأفكار التي تقتضي التعمق والبحث في ذلك المسرح المفتوح على كون لا متناه، لكن فضاءات العصر الراهن مختلفة وهي مفتوحة على عوالم لا حدود لها من الأفكار والتقنيات الكثيرة التنوع والتعدد. الشاعر اليوم أمام تحديات تفرض ممارسات مختلفة عما كان يتحدى الشاعر الجاهلي الذي اندمج في بيئته واستطاع التعبير عنها وعن معاناته معها بروح (متوثبة وبعاظفة لا تغالبها الشهوات الرخيصة) والأنايات المحكمة بالأيديولوجيات المحكمة الأبواب على شعارات طنانة.

يقدر ما يكون الشاعر قادراً على اجترار المألوف وكشف بواطن الأشياء المسورة بالجهل وقوة التقاليد يكون دخوله إلى عالم الشعر مغامرة محسوبة للخروج من المظاهر الأسته والحادعة والمضلة. يقدر ما يتجاوز النص الشعري ثقافات استوطنت حيوات الناس حتى غدت مستنقعات لا توجد بغير لسعات الحشرات وروائح العفن. ويقدر ما يكون للشاعر من الثقافة ومن فهم مسارها المتعالي والتشعب بروح الحضارة الحديثة بعقل منفتح وفكر متطور يستطيع تجاوز المألوف وتنغمس تجربته في الحياة. فهل كل من خاض هذا المجال استطاع (أن يسبح في نهر الشعر الدفاق)؟ عبر أدونيس في حديث له بوضوح عن تجربته شارحاً الوهن في النص الشعري العربي الراهن بعامة، من حيث فقره تشكيليًا وتحركه في مدار ضيق، بينما أنه كما يقول: وجد أن ما أخرى تجربته يكمن في اكتشافه نفسه متأثراً بالإيداعية الشعرية عند الغرب ككل فكروي وليس التأثر بالجانب الجزئي الذي لم يستطع بعض من الشعراء الذي اطلعوا على التجربة في الغرب تجاوزه.

تصادى بعض الشعراء من الانغماس بتجارب الآخرين، خاصة عندما أقحم الشاعر نصه أو نوصوه في توظيف الأسطورة أو الخرافة أو كليتها معاً، لم ينبع بعض النصوص التهادي في هذا الأسلوب، إذ صارت الأسطورة لدى أصحابها سلعة خضعت لأذواق مستخدميها يلبسها بعضهم أزياء مما يليق بها أو لا يليق، فيها الفضاض وفيها الضيق المتعمد إبراز العورات وتأخذ حوى النص المشتعل على ما يظهره من ضيق النفس وسرعة الأداء، بينما يؤخذ آخرون بإظهارهم الحرص الشديد على الكرامة والشرف وغير ذلك من مفردات حياة أخلاقية أنتجتها ظروف وثقافات استوطنت أذهان العامة حتى غدت تفرز مادة أسنة أكل الدهر عليها وشرب، من مثل الاعتزاز بماضى أفل فترتدي القصيدة ثوباً بدوياً مع ربطة عنق تنتجها شهر دور الأزياء الحديثة. الأسطورة لا يحسن توظيفها - كما يقول إيلي حاوي- هي في كل لحظة منها لتغتنى بالرموز الشعبية فلا يتيسر فهمها إلا لعقل منفتح وفكر متطور يتجاوز المألوف. ثمة لفضة لها تاريخ ويمكن أن تنطوي على ما وراءها من تاريخ من التجارب والرموز التي فاضت بها روح الشعب. إن تضجير المعنى الذي هو من أهم خواص الشعر المبدع - كما كتب عبد الله عبد الدائم- يظل صبوة أكبر إلى سر جديد.

عندما ينحو الشاعر نحو الافتعال لا يحصد الشعر منه إلا الغلو، والا اختلاف لا يدل إلا على كلام يتولد من عبث الفكر والخيال بعيداً عن الانفعال والتفاعل النفسيين. فالعالم - كما يقال- لا ينتهي عند فكرة عنه أو نظرة فيه.

الشعر معاناة، والشاعر دائماً في حالتين متضادتين عندما يصدق مع نفسه ومع المتلقي المنتظر وهذا ما أفصح عنه صلاح عبد الصبور قائلاً:

الهدف الذي يسعى إليه الشاعر، منذ البداية، يتمثل بتلك السعادة النفسية الناتجة عن الانسجام مع غنائية الكون واستحقاق الحياة الخالصة من أوزار المجتمع، ومع ذلك، كما الحال مع الأنبياء والفلاسفة تحصل لديه لحظات من اليأس المرير والاستبشاح الشامل للواقع والطبيعة ... يحمل إزاءها شهوة لإصلاح العالم.

شد ما يساور الشاعر شعور شديد من القهر حيث لا يجد زاداً لديه أو يتوهم أنه كذلك في مواجهة أسرار الكون والحياة. ولعل هذا ما شعر به حاوي في لحظات دخول الدبابات الإسرائيلية أحياء من بيروت في تلك الليلة الجزيرانية المشؤومة، حين دوت رصاصة حكم بها على نفسه وربما على أمتائه فكانت صدى لصرخة دوت مع هذه الرصاصة: رياه كيف أستطيع أن أتحمل كل هذا العار؟

كأنما كان حاوي مع لعة الرصاص يستعيد هذه المقطوعة:

عدت في عيني طوفان من البرق

ومن رعد الجبال الشاهقة

عدت بالبار التي من أجلها

عرضت صدري للصاعقة

وكانما كان الشاعر يخاطب زميله عبد المعطي حجازي وهو يعاني من مرارة ما آل إليه واقع الحال، فيقول:

كلما تنا مصلوية على الورق / لم تزل طيراً ضريباً / ليس في جنبه روح / وأنا أريد لها الحياة على الشفاه / تمضي بها شفة إلى شفة / فتولد من جديد

أكان الشاعر لحظتئذ يغمره شعور أن إيقاع الزمن ما بين لحظة الخصب ولحظة الفعل لم يلد سوى عقم جديد؟

يظل الشعر غنائية الكون كما في كل فن عظيم، وهو في عيانه، كما يقول الفيلسوف الفرنسي فريناند ألكيه: الشعر في أعلى مستوياته ليس بخلق، لكنه اكتشاف روحي وعودة إلى حقائق أساسية، ورد واستبعاد لكل المظاهر لكي نعود إلى الوجود، وتهديم للعالم المصنوع بعاداتنا، طموحاً للكشف عن عالم أكثر صحة، بحيث يمكن الخوف من أن تصبح الفلسفة هي التي تنسى مهمتها في الحين الذي يظل فيه الشعر وفيها مهمته.

المتنبي ويوم اللغة العربية العالمي وجهة نظر

• عبد الحميد غانم



أشارت الندوة الثقافية والأدبية التي أقامها اتحاد الكتاب العرب في مقره بدمشق يوم 27 أيلول 2020، في نفسي الكثير من التساؤلات حول علاقة المتنبي بيوم اللغة العربية العالمي، وما هو الدور الذي قام به حتى ترتبط مبادرة أحد الأعضاء وهو الدكتور جورج جبور، بجعل يوم اللغة العربية العالمي بالمتنبي.

أغلب المداخلات التي تناولت الموضوع، تحدثت عنه، بالشجاعة والكبرياء، كما أنه اشتهر بحبه للمغامرة والطموح العالي، وكان دائماً معترزا بعروبته، بلغته وعنفوانه، مدركاً لعصره وفلسفته، فقيل فيه حكيم الفكر واللسان. وهذه الصفات كررها كل من كتب عنه، السابقون واللاحقون، وكأنها متطابقة معه ولا تجد ما يغيرها عنه أو يستبدلها بغيرها. أو هو لها كما يقال عنه، لبسته أو لبسها، لا فرق، هذه هي صفاته وميزاته.

إن طرح المبادرة بهذا الشكل لا تكفي.. كنت أتمنى لو أننا سمعنا دور الشاعر الذين تغنوا به أو حاربوه في حفظ اللغة العربية وأثره في الارتقاء بها، هل جمع اللغة وقواعدها في شعره؟ ما هي مآثر شعره في صون اللغة من الضياع؟ هل شكل شعره مرحلة انعطافية للغة العربية مقارنة مع الشعراء الذين سبقوه أو الذين جاءوا بعده؟ كلها أسئلة أضعا برسم الكتاب والأدباء لأ بيان حيثيات المبادرة لربط المتنبي بيوم اللغة العربية العالمي.

من المعروف أن الأمم الراقية تحتفي بلغاتها وبرموزها المبدعين الممتازين فيها، وليس خطأ ذكر المتميزين، لأن التميز هنا يأتي للغيظ (تميز غيظاً). فاحياء يوم للغة الام بشكل حضاري مرتبط باسم أو دلالة ما لها صلة أو مستمدة من التراث والحضارة والثقافة على السواء سنويا أو بما يناسب الاحتفال في أكثر من مناسبة.

وتغتنم أية دعوة أو مشاركة من أية جهة تصب في الهدف المنشود. مثلما قامت الأمم المتحدة في تحديد يوم للغة العربية، هو يوم الثامن عشر من كانون الأول من كل عام، لكنه بعيد عنا، بل لا يجمعه برموزها رابط يزيده عنفوانا وابتهاجا، ولا في تراثها اللغوي، مما حدا بالدكتور جورج جبور (عضو الاتحاد وباحث وسياسي واكاديمي ومستشار رياسة سابق وشارك بالندوة) في وقت مبكر إلى الدعوة إلى تغيير الصورة

كلها أقوال ودراسات أشادت بالشاعر وشعره، ولم تتناول بالبحث والدرس ماذا أعطى وأثر في اللغة العربية، وكيف استوى شعر بتنظيم اللغة وقواعدها؟

لقد قدم المتنبي أفضل ما عنده من شعر لدرجة أن حذف ما لا يليق به وبلغته، ومازلنا من شعر اقل بكثير من الشعر الذي تركه ونظمه بنفسه.

كما يسجل له دوره الكبير في إقامة وتأسيس المنتديات الأدبية في الشام والعراق ومصر، أي أينما حل.

تلك المنتديات التي درست شعره كلغة واختيار المفردات والتركيب والجمال ونظم الصور البلاغية والتلاعب بالمفردات في خدمة الهدف والقصيدة.

لم عشوائيا في نظم الشعر والتركيز على ذاته والتسويق له بقدر ما كان تركيزه على إخراج القصيدة بالشكل المناسب والراقي، ولو تأخر صدورها.

كان يتقن التفنن في اختيار المعاني وسبك الصور البلاغية لتحسين شعره.

لم يكن يدعي النبوة كما حاول البعض تصويره، بل كان يريد أن يكون شعره قمة في الشعر نفاة وادبا.

انا لست مع خصومه في التنكيل بشخصيته، ولا مع الذين يتعرضون له. انا مع فكره وشعره الذي تنتجه بعيدا عن صفاته الخلقية او انتماءاته السياسية او الدينية.

ان البحث والدرس بتجرد من المشاعر والعواطف، ويركز على الفكر الخلاق الذي تستفيد منه البشرية.

إن حسن الاختيار كرمز تراثي أدبي ليوم اللغة العربية العالمي يتطلب من الأدباء والكتاب العرب مسؤولية كبيرة في تقديم أهمية الرمز ودوره في حفظ اللغة كحال شكسبير بوشكين أو أي رمز أدبي للأمم أخرى.

عرف عن المتنبي تمكنه من سحر اللغة العربية ومخزونه منها بلا أبعاد، بما فيه ابتكاره لعدد كبير من المعاني والمفردات الجديدة، بمعنى أنه أضاف لغة ما يزينها ويوسع مدياتها ويثريها مفردات ومعاني، ومن أشهر صفاته أيضا التي برزت في أشعاره، تفرج الأحاسيس والمشاعر لديه،

وتقديم الفاعل أو المفعول به على فعله، كما أن أشعاره لم تكن تعتمد على التكلف والتصنيع، فقد كانت تتميز بالعدوية والجمال، ولا تزال تردد أو تحفظ ويستشهد بها وتعيد له ألقه وقدراته الغنية بالمعنى والمبنى. المتنبي شاعر وفارس وحكيم وطموح لأكبر من زمنه أو عهده وما جايه أو عاش عصره.

يعود لقبه بالمتنبي لبعض أبيات شعره، وتعاليه الدائم وتعاضله، وليس كما قيل عنه، وهو ما يذهب إليه رواة له، منطلقين

من قوله :

أنا في أمة تداركها الله
غريب كصالح في ثمود

ومنهم من يرى دعوته هذه كانت سياسية، من قوله :

ما مقامي بأرض نخلة إلا
كمقام المسيح بين اليهود

ومن رواهه :

ألم ألم ألم لم يدانه إن أن أن أن أن وأنه
قدرة المتنبي على التعبير اللغوي خلدت إبداعاته، بل جعلته سيد المعاني وساحر اللغة وناشدها، كما قال :

ودع كل صوت غير صوتي فإني

أنا الصائح المحكي والآخر الصدى
وقوله :

وما الدهر إلا من رواة قصائدي إذا

قلت شعرا أصبح الدهر منشدا

اختلف الرواة بيوم ولادته ووفاته، ولكن حدد يوم مقتله في 23/9/965 وهو اليوم الذي يقترحه الدكتور جبور يوما عالميا للغة العربية، مقرونا باسم شاعرها الكبير، أبو الطيب المتنبي. فلماذا لا يكون كذلك، كما هي مع اللغات الأخرى. وكتب رسائل عدة إلى الجهات التي يراها مسؤولة ومكلفة بالأمر، وآخرها تقديم اقتراح أو فكرة للدورة الأخيرة للمؤتمر القومي العربي وتبني المؤتمر لها كتوصية بتابعها مع المنظمين العربية والإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ومن بين أبرز الرموز التي اختارها الدكتور، الشاعر العربي

أبو الطيب المتنبي، الذي نظر الأعمى إلى أدبه، وأسعت كلماته من به صمم، ونام هو ملء جفونه وظل الناس يسهرون جراها ويختصمون.

وقد عرض رئيس اتحاد الكتاب الأستاذ مالك صقور ان يدرس المقترح في الاتحاد ويخاطب الجهات المعنية بذلك.

الشيطان



• وائل أبويزبك

أنا شاعر... لا تكثر لدي
فإذا وقعت أعود أنتصب
وإذا قتلت فليس من دية
وإذا حبيت فأنت لي سبب
سبحان من سواك من لهب
فأضاءني من روحك اللهب
ورمي بك الشعراء إذ أمنت
عصب وضلت دربها عصب
يا مارجاً... كم فتنة عبرت
قلبي وأنت الفتنة العجب
أشعل حطامك بي.. فبي ظمأ
للنار تحرقني... فالتهب
واصهر عظامي إن معدنها
تبر... وظاهر جلدتها ترب
فإذا لمعت فذاك أن دمي
من فضة... ولأنني ذهب

يا قاتلي والنفس راضية
والعمر مرتهن... ومغتصب
من أنت حتى تصطلي بدمي
فتضيء من نيرانك الكتب
تهمي كأن سحائبنا وقعت
في واحتي وتدافعت سحب
وإذا نأيت فحاطري حطب
هش ودوحة خاقتي حطب
لك من جهنم نار شهوتها
ومن الشمس العرق والعصب
فإذا انتسبت فليس من ضعة
النار أمك والضيء أب
سجدت بحضرتك الملوك فما
عجم تهور عليك أو عرب
ورفعت عرشاً لا تحف به
تلك الرماح الأحمر والقضب
زرنى فعاصف خطوتيك هوى
في طيه النيات والقضب
من راحتك رحيق قافيتي
كالماء من كفيك تنسكب
واضرب بسيفك لا تحف أبداً
سيفي... فحد شبابه حشب

فاخلع قناعك حين تبصرني
واهبط فبوح قصيدي صخب
يا واعدي بالحسن كم كذبت
فيك الظنون وغرني الكذب
أغربتني بالفتنات... فما
إلا حشاشة خافق يجب
و وعدتني بالكأس مترعة
فتملت لا خمر... ولا عنب
يا خادعي والروح مترفة
مما تروغ وما بها عتب
مرت طيوف الساحرات كما
مر الغمام الممطر الرطب
وعبرني كالظل في نهر
يمشي على مهل وينسحب
قل لي بربك... أينا قلق
فيما يهيم... وأينا التعب
يعلو عزيبك كلما نقرت
فوق الدفوف أصابع شهب
و كأنما نغم يسيل إذا
طرقت عصاك... وزائر طرب
خدر تروح النفس هادئة
فيه.... ويطرخ جامه الغضب

من أنت.. تبدو ثم تحتجب
كالطيب بناى ثم يقترب
كالليل يلمع في غياهبه
قمر وتومض خلفه الشهب
أو كالسراب تلوح مضطرباً
وبجانحيك الماء واللهب
يا أيها المركوز في كبدي
كالرمح يهدأ ثم يضطرب
النور من عينيك منسرح
والنار من كفيك تنسرب
لي من سوادك لون مملكتي
ولك القوالب البيض والأدب
ولي التماغ البرق إن قصفت
عيناك أو عصفت بك السحب
ومساحب الشال الحرير على
كتفيك يرقص فوقه القصب
فبأيما لون برزت أري
شبحي يطوف وخاقتي يثب
بيني وبينك ألف أسرة
كبرت فألف بيننا النسب
فإذا رأيتهك أسدلت حجب
وتهدمت ما بيننا حجب

أمطار لوجهك الملائكي

• مها حسن

إلى والدي الحبيب الذي لن يكرره الزمن



كما ريحك تحمل أملاً..
أيها القديس
وطنت صحرائي رملاً
أينع خريفي خضرة
وباسقات النخيل
أمطرن رطباً..
أيها القديس
أيها الملاك
حللت قلباً يبأبأ
صيرته طهراً
صيرته جناناً
أيها المولود عمراً
لا ترحل
لا تتركني وترحل
لا تمضي وتترك
سراباً إلى سراب
وظلالاً تعرش خضرتها
فوق الرمال..

أيها القديس
إن وطنت تراباً
صير ماءً طهوراً
أمطرت على اليباب طهراً
وقداسة
أضحى عشياً
شجراً يانعا
أمطر خضرة وجناناً
ثمار الجنة
وطهر يوسف..
أيها القديس
طلبت إليك نجمة
صيرت لي السماء نجوماً
أغدقتها سناء بين يدي..
أيها القديس
حللت ربيعا بعمرى
رددت بصري
كما رد ليعقوب النبي
بريح تحمل طهراً

قبض الريح

• علي معروف



وللعصافير أسراب مطهرة
وغيرها في الحقول الغبر ينتشر
هذي تهامس في نعمي وعافية
مختارة من حبوب الأرض ما بذروا
وتلك ماضية في الأفق تعبره
إلى البعيد، لها في عمقه وطر
فلأنام شؤون تبتغي عملاً
وللطبيعة فيما تبتغي آخر
وللنيام شؤون عز مطلبها
عليهم وسبيل الطالب السهر
يا أمتي، لست أجزو، إننا بشر
فوق أبتنا لاتنا يا أمتي بشر
يتوجون منا هم علمهم قلم
أقوى سلاحاً وأمضاه إذا نضروا
هل يستوي الجهل والعرقان منزلة
أو اليقين، بما يأتيك، والخبر؟
إن أمحلت أمة واجتاحها قفر
فأين، من عزها، الإمحال والقفر؟
فلا الدعاء، غداة الروح، منفرج
بلا سلاح، ولا التسليم معتمر
الأقدمون تباروا في معارفهم
وفي عدالتهم، فاستجلت السير
تاريخهم حبروه من دمائهم
فصح ما جاءنا عنهم، به الأثر
ما خلدوا بدعاة أوردوا كذباً
ولا رواة هراء كل ما ذكروا
قد قاوموا البغي كي يرضى الجهاد ولم
يقاوموه لكي يرضى بهم عمر
يا كاشف الضر، شيئاً عن عزيمتهم
ومن سجاياهم يجلى به البصر

شق المسير على عهد الطوى زمناً
تقتادنا، في دجى ظلماته الحضر
نمشي الهوينا، فلا هدي ولا أمل
ولا دليل، ولا شكوى ولا حذر
تحدو القطيع تلاتوات ولا سور
محرم أن ترى آياتها السور
طغى الظلام على الرؤيا وغيبها
وازاحمت في مداها، البهم والبشر
أعيد ذاكرتي قسراً أسانها
فينثني، عن بقايا وهمها، النظر
واستفيض خيالاً قض مضجعه
رفاتها، وبكى أشلاء الأثر
كانت موحدة، ماء ويايسة،
لكنها الآن، في بحر النوى، جزر
لا يرتجي أحد منها هوى أحد
ولا يلاقيهما، في حلمه القدر
فيا شبابي، ويا أحلام ونبته،
ويا مرايع قومي، جنت أعتذر
زرعت فيك مجاديفي وأشرعتي
مكافحا، وبقيت العمر أنتظر
فأثمرت خيبة يجترها زمن
وأينعت حسرة يقاتها الضجر
وعدت ألقم ناراً وقدها كبدي
وفي سواد عيوني ينثر الشرر
أهدد النفس لكن، دونما أمل
فالنفس مكسورة والقلب منمطر
ضاعت قلاند كم جمعتها بيدي
منضداً، اصطفي منها وادخر
تناولتها يد ما زلت أذكرها
ظلت تصفق لي حيناً وتنتصر
أسديتها العون والإحسان في زمن
لا حول فيه لها إذ يمثل الخطر
يا عارها، انقلبت رأساً على عقب
يفاخر القبل في ميدانها الدبر
الحوار يرنو إلى أبهى خمائله
ويشرئب على أقدامه الزهر
والنهر ينساب في غدرانه جدلاً
يروى حكاية ماضية وينحدر

يوم مثلج

• م.ياسمين درويش

تنهض رهام من رقادها تشعر بالبرد الشديد يعثرها، تلف وشاحها الصوفي حول رقبته لينسدل على ثوب النوم السميك، تنظر خلال نافذتها المطلة على باحة المنزل (أرض الديار) لتجد الثلج الأبيض يتهاطل من السماء وأرض الديار مكسوة بطبقة سميكه من الثلج الناصع البياض.

تعتمر قبعتها الصوفية وترتدي حذاء سميكاً... تخرج إلى أرض الديار فتري آثار قدميها المنطبعة على الثلج المتراكم، يستمر الثلج بالهطول ليملأ قبعتها وشاحها... تعثرها قشعريرة فتفخ بيديها لتدفئتهما، تدخل المطبخ وتفتح الثلاجة لتشقق قائلة: لا يوجد خبز بالثلاجة.

تتحدر دموع دافئة على خدها البارد وتتهد قائلة: كيف نسيت أن أتفقد الخبز ليلة البارحة؟

وتتابع: تناولت البارحة معي ابنة أختي وجبة العشاء ونسيت أن أسألها عن كمية الخبز المتبقية.

تجول رهام بصرها في باحة الدار فتري الثلج يتراكم على الأشجار ويغطي أحواض الأشجار المحيطة بباحة الدار... تشعر رهام بالوحدة والخوف وترى الغرف كثيرة وفارغة... فتتأدى إخوانها:

أين أنت يا مالك؟ أين أنت يا همام؟ أين أنت ياراضي؟

ثم تصرخ بأعلى صوتها: أمي.

تعود للبكاء مرة أخرى... تدخل غرفتها لتتكفى داخل سريرها، وتهمس: سأموت اليوم برداً وجوعاً.

تتذكر أيام الثلج في السنوات السابقة أيام كانت الأم تجمع الثلج النظيف النقي وتضعه في الكؤوس الزجاجية وتصب فوقه شراب الورد اللذيذ واسمه السويء.

كانت تضرب أخوتها بكرات الثلج بلا هوادة فلا يغضبون منها فهي أختهم المدللة التي يحترمها ويحبها كل أهالي الحي.

رهام معلمة لأبناء الحي تهتم بالطلاب والطالبات وتحضر لهم وسائل الإيضاح الملونة ليقيموا الدروس جيداً، وفي درس الموسيقى تعلمهم الأغنيات التعليمية، وفي درس الرسم والأشغال تعلم الصبيان الأشغال المفيدة والفتيات التطريز.

وهكذا صنعت رهام لنفسها مكانة مميزة في الحي، واليوم دخل الغريب حاملين الرايات السود إلى الحي، أخرجوا الشبان من الحي بحجة انتمائهم للجيش العربي السوري، واتهموا السكان تهماً مختلفة لإفراغ البيوت من سكانها وإعطائها للغريباء.

حين خرج كل أفراد الأسرة من البيت رفضت رهام الخروج معهم قائلة:

لن أترك الأولاد للجهل والظلام... سأبقى معهم لأعلمهم مبادئ الحب والخير، ولن أترك منزل أبي للغريباء.

أخذت رهام تنسج في سريرها وهي تفكر: خط الهاتف الأرضي مقطوع بالحي والخليوي مقطوع الإرسال أيضاً.

بعض الجيران تبدلوا والقدامى أصبحوا أكثر حيطة وهدراً في التعامل مع سكان الحي خوفاً من بطش أولئك الظلاميين.

لم يتوقف الثلج عن الهطول يومها وتقطعت الطرقات ولا تستطيع رهام التنقل لشراء الخبز من الحي المجاور كما اعتادت.

سمعت رهام فجأة عدة طرقات خفيفة على باب المنزل فرأت أحد طلابها يحمل كيساً بداخله ثلاثة أرغفة من الخبز قائلاً: أنستي أمي تقروك السلام وتعطيك هذه الأرغفة الثلاثة.

عانقت رهام الطفل الخجول، والدموع تملأ وجنتيها.

بعد أقل من عام تحرر الحي من نير الإرهاب إلا أن رهام ظلت تكره الثلج والأيام الثلجية.



ما اسمك يا رفيق؟!

• رشاد أبوشاور



فرنسا... وتشرد... وعانى... وتعجب... وجاع... وفي النهاية حصل على إقامة... وما يشبه الغرفة.

عرفته في بيروت، وكان يُنادى (أبورفيق)، لا اسم أول... ولا اسم عائلة... ولكن مع أبي رفيق كنية تميزه: التونسي... فهو أبورفيق التونسي.

عندما أخبرني صديقي ياسين أن أبا رفيق يتعافى نبض قلبي فرحا، وشعرت بانسراح غاب منذ زمن عن نفسي... ووجدتني أتساءل:

ولكنك ما اسمك يا رفيق... يا أبا رفيق التونسي؟!

ثم همست لنفسي: يكفي أنه رفيق... وأن رفاقه ينتشرون في بلدان كثيرة، وأنهم يتبادلون آخر أخبار مقاومته للفيروس.

يا الله ما أجمل الرفقة... أي إنسانية تجمع رفاق من بلاد العرب... كل ما يعرفونه من أسمائهم أنهم رفاقنا: الرفيق فلان... والرفيق أبوقلان...

كتب بعض فصول معاناته وتشرد في كتابين - و... ليتزوج وينجب أبناء أوريبيين فلسطينيين يرفضون أسلو أكثر منه، خاصة بعد أن (عادت) ياسمين، ابنته، إلى فلسطين وشاركت أهلها معاناتهم على الحواجز والمعابر في الضفة الفلسطينية، حيث الدولة الموعودة. (هي جامعية... وإعلامية مثل والدها).

أبورفيق لم يغادر على متن إحدى السفن، بل بقي مع من بقوا في بيروت، لأنه لم يشأ أن يعود إلى تونس قبل أن تتحرر فلسطين، ولا أن يتوجه إلى بلد عربي ما، ولذا عاش ما بعد معركة بيروت... وأيام مذبحه صبرا وشاتيلا، وكان خارج موقعة المذبحة.

علم رفاق أبورفيق أنه يعتني به في مستشفى فرنسي، فتتادوا للوقوف مع رفيقهم أبورفيق الذي اندفع من جنوب تونس قبل أربعين عاماً... ووصل إلى بيروت وهو فتى صغيراً، ثم فدانياً شاباً... ثم مثقفاً يعرف كل شئ عن القضية... وعن ثورات العالم، ثم دارساً للاقتصاد السياسي في بلغاريا بعد مغادرة من تبقوا في بيروت.

عرفوا اسم المستشفى، ثم اسم الطيبة المشرفة على العلاج... ثم عرفوها بأنفسهم كاصدقاء... وأنشأوا معها صلات إنسانية... ودعوا لزيارتهم في بلغاريا، والسويد، والنرويج... وحتى في بيروت... فدهشت من (عائلة) أبورفيق هذا... الذي هو تونسي الأصل... فرنسي الجنسية... فلسطيني الانتماء... عرف لبنان وعاش فيه سنوات.

انتشر خبر إصابة أبي رفيق بالفيروس بين رفاقه المنتشرين في بلاد كثيرة، ثم... بعد اتصالات، وعلاجات... ومناشآت لأبي رفيق بقهر الكورونا... صحصح الرفيق أبورفيق... ها هو ينتعش... ويتهيأ لمغادرة المستشفى ليقتضى حظراً لمدة 14 يوماً في غرفة وحده.

وحده... ولكنه يعيش في باريس في غرفة واحدة مع زوجته الفتاة التونسية التي اختارها من بلدة تونسية في الجنوب، و... اصطحبها معه إلى فرنسا... لتلد له طفلاً تونسياً أسمر السمات بعينين كحيلتين تضحكان له صباح مساء، و... تجدان حبه وثقته بأن الحياة تنصفه بعد طول تشرد بعيداً عن تونس... وبيروت... والرفاق الذين وزعتهم السفن على أربعة جهات الدنيا بعد معركة بيروت المجيدة.

أبورفيق بعد الخروج من بيروت قضى فترة في دمشق، بين رفاقه الأوفياء، الذين بعد جهود تدبروا له بعثة دراسية في بلغاريا... وهناك درس الرفيق الاقتصاد السياسي، ثم غادر إلى

أربعة تشكيليين من آل اسماعيل

سعد القاسم



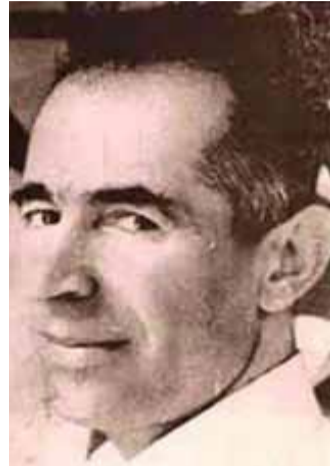
عزيز اسماعيل



نعيم اسماعيل



صدقي اسماعيل



أدهم اسماعيل

كانت، جنباً إلى جنب مع تقديره العالي لتجارب التقليديّة المتمكنة. وإذا كان الكتاب قد اقتصر على نشر ما وصفت بأنها أوراق منسية لم تنشر، فإن في مقالات صدقي اسماعيل المنشورة متسع خبير لتجارب الفن التشكيلي السوري التي عاصرها، تترجم بدورها فكره المنفتح الرحب. ففي مقالة صحفياً نشرت عام 1950 عن معرض للفنان المعلم نصير شوري نجد نموذجاً متقدماً للنقد الفني. إذ يستعرض تجربة الفنان ويقارنها بتجارب عالمية، ويجد العذر له بتأثره بأكثر من واحدة منها « لأن الفنان في بلادنا ما يزال غريباً عن أية تيارات فنية محلية، وحيداً مع ريشته والإنتاج الغربي » ومع ذلك لا يندفع صدقي اسماعيل باتجاه إعداد وصفاً جاهزة يطالب الفنانين الالتزام بها كما فعل أدباء كثيرون، وإنما يناقش بعقلية المنقف المتور الأساس المتين لإنتاج فن يبرز شخصية الفنان، ويراه في « استقلال فن التصوير كتعبير باللون والشكل والنور، عن كل شيء سواه، وهذا الاستقلال يقتضي أن يهتم الرسامون منذ البدء بالتعبير عن إحساسهم بالعالم الخارجي، وشعورهم بالمواضع التي يرونها، قبل أن يفكروا بتوجيه الرسوم، أو الجنوح للخيال، أو التعبير عن الأفكار، أو محاولة تصوير الواقع بقصد الانتقاد، أو التمجيد...»

هذا الفهم المتقدم للفن التشكيلي الذي لم يبلغه كثيرون ممن يكتبون فيه بعد ستين سنة وأكثر، والقائم على أرضية فكرية ثقافية عميقة ومتماسكة، هو ما أتاح لكتاباتاته أن تحتفظ بقيمتها رغم مرور كل هذه السنوات عليها، وهو بعض ما أعطى تجربة صدقي اسماعيل الثقافية الإبداعية أهميتها الاستثنائية..

سيثير استغراب كثيرين، وخاصة من أجيال جديدة ربما لا يكون في معارفها عن من واحد من أعلام الثقافة في سورية سوى أنه مؤلف رواية (الله والفقر) التي أخذ عنها المسلسل التلفزيوني الشهير (أسعد الوراق).

بعد أربعة عقود على رحيله أعادت زوجته السيدة عواطف الحفار إحياء ذكره بإضاءة جانب يكاد يكون مجهولاً من تجربته المعرفية الإبداعية، وهو جانب الفن التشكيلي الذي خاض غماره باحثاً وناقداً. ففي كتاب صادر عن الهيئة العامة السورية للكتاب عام 2011 تحت عنوان (مطالعات في الفن التشكيلي العالمي)، نشرت الزميلة العريضة مجموعة مقالات للراحل الكبير حول أعلام ومدارس فنية تمتد، تاريخياً من عصر النهضة إلى تيارات التحديث في أواخر القرن التاسع عشر حتى خمسينيات القرن العشرين، وجغرافياً من الصين إلى روسيا وأوروبا مروراً بإيران وصولاً إلى إفريقيا، مع وقفة هامة عند أثر (الأرابيسك) في الفن العالمي..

و جاء في تقديم الناشر: « كان كاتب هذه المقالات مثقفاً من طراز فريد، امتدت اهتماماته إلى حقول واسعة في الثقافة، بدءاً من التراث العربي القديم، واستعادته، وإحياء رموزه، والشعر وإبداعه والكتابة فيه، والسياسة، والرواية والقصة إبداعاً ونقداً، وتقريب الفكر والثقافة والفنون الأوربية، والتنويه بنتائج أعلامها محلياً. ولعل هذه المقالات أن تكون مثلاً طيباً على اهتمام كاتبها بالفنون التشكيلية، ويبدو أنه كتبها أوقام بترجمتها من المصادر التي اقتناها في أثناء رحلاته وإقامته في أوروبا..»

تشي خيارات صدقي اسماعيل التشكيلية (أيضاً) عن انفتاحه الفكري والثقافي على التجارب المجددة في الفن التشكيلي أينما

الزخرفة العربية (الأرابيسك)، محدداً الشكل عن طريقه. وقد صقلت دراسته في إيطاليا تجربته وسارت بنضج أسلوبه في التعبير الفني. وتدل على ذلك بشكل خاص لوحة (الفراس العربي) عام 1953. وبعد انفصال دولة الوحدة، وتحطم حلمه القومي عام 1961 اتجه إلى الموضوعات الجمالية وأسهم في تجديد لغة التعبير الفني في سورية، وفي اكتشاف ما يملكه التراث العربي من أشكال فنية يمكن استخدامها للتعبير عن مضامين متنوعة.

أما نعيم اسماعيل فقد كانت موهبته الفنية المبكرة خير دافع له لمتابعة الدراسة في استنبول بإشراف أخيه عزيز - كما أشير سابقاً - . لكن نعيم لم يكتشف نفسه إلا حين نزح إلى دمشق عام 1955 وتعرف على أحيائها القديمة وما تحفل به من زخارف عربية، وما في هذه الزخارف من إمكانات تعبيرية. وتدل لوحاته الأولى، في دمشق، على بداية رؤية فنية خاصة، وعلى بداية تكوين مفهوم جديد للشكل الفني يستمد من الزخارف التي غدت لديه تمثل جوهر الأشياء، وأن تكون قادرة على التعبير عن الموضوعات الإنسانية والاجتماعية والسياسية، ولغة حديثة تقوم على جذور في التراث العربي، لهذا حذف التكرار الرتيب منها، واستعاض عنه بالمفاجأة، وجعل الوحدات الزخرفية تتناسق وفق مفاهيم التصوير وما فيها من بعد وقرب، وعلاقات بين المساحات، وتناغم بين الألوان. وقدم نعيم اسماعيل فناً حديثاً بروح عربية - كما يصفه طارق الشريف - على صلة بالزخارف العربية والتراث الفني العربي، وقد التقى مع شقيقه أدهم في الأهداف، واختلفا في المصادر والمعالجة.

هذا عن ثلاثة تشكيليين فمن الرابع؟ وأجيب: إنه صدقي اسماعيل. وأعلم أن هذا الجواب

العمر الذي توفي قبله أخواه، وكان كل ما في المركز يذكره بهما، فالمركز كان يحمل اسم شقيقه الأكبر أدهم، وكان لشقيقه الأصغر نعيم مكتب فيه بصفته مدير الفنون الجميلة حينذاك. لم يكن إحساس خوف، وإنما إحساس فقدان تعمق أكثر حين رحل شقيقه الأخير نعيم وكان الأستاذ عزيز يعتبر نفسه مسؤولاً عنه وقد أشرف على دراسته الفنية العليا في استانبول، واعتاد لسنوات عديدة أن يلقاه دوماً في المركز. وقد التفت هذا الإحساس بعمق ابن شقيقته الفنان حيدر يازجي، فكان يحرص على زيارته دون تهمل. والمشاركة الأساسية أن المرة الأخيرة التي شاهدت فيها الأستاذ عزيز كانت في عزاء المرحوم حيدر.

والمشاركة المؤلدة أيضاً أن معظم أعمال عزيز اسماعيل لم يشاهدها الجمهور إلا بعد رحيله، حين نشرها مهتمون وطلاب له على صفحات التواصل الاجتماعي، فأدهشت وأثارت الاستغراب للجهل بهذه التجربة البالغة الأهمية. لكن هذا الجهل كان ضحية تواضع الفنان عزيز اسماعيل، وحرصه على العمل بعيداً عن البهرجة. وإحساسه المضطرب بالمسؤولية الفنية. ومسؤوليتنا اليوم تسليط الضوء على الفنان المبدع وتجربته الثرية.

الرجال مختلف كلياً مع الشقيقين أدهم ونعيم، فتجربتهما كانت تحت الضوء منذ البداية، بحكم أهمية هاتين التجربتين في المشهد التشكيلي السوري، ومساهمتهما في إطلاق تيارات الحدأة فيه. فقد كشفت اللوحات الأولى لأدهم اسماعيل

عن شخصية فنية لها استقلالها. وقد برزت شهرته في عام 1951 مع لوحة (العنّال) التي استخدم فيها (الخط اللامتناهي)، المستوحى من (الخيوط) الواسع الاستعمال في

أواخر العام الماضي غادرنا الفنان التشكيلي القدير عزيز اسماعيل، رابع الأشقاء المبدعين الأربعة الذين أثروا حياتنا الثقافية والأدبية والفنية بحضورهم الثري، وإبداعاتهم الفنية والأدبية التي تستحق الوصف بأنها معالم مضيئة في تاريخنا الثقافي.

في واقع الحال فإن الراحل الكبير هو الرابع في مفارقة الحياة، وليس في القدوم إليها ففي الولادة كان الثالث بعد أخويه أدهم (1922 - 1963) وصدقي (1924 - 1972)، وتلاه شقيقهم نعيم (1930 - 1979)، وقد ترك رحيلهم المبكر أثراً عميقاً في نفسه، فقد غيب الموت شقيقه الأكبر أدهم في مطلع أربعينات عمره، وصدقي ونعيم قبل أن يبلغا الخمسين، وكانوا جميعاً في عنفوان العطاء. وقد لمست هذا الأثر بجلاء منذ بداية تعرفي عليه في منتصف السبعينات حين حظيت بفرصة الدراسة على يديه في مركز أدهم اسماعيل للفنون التشكيلية وأنا أنهيلاً لامتحان القبول في كلية الفنون الجميلة.

كان الراحل بجسمه الرقيق وصوته الهادئ الدافئ يمنح الإحساس ذاته لجميع من تعلم عنده، فقد كان يملك حضوراً شخصياً متراً في أناقته ورقية، يمتزج مع تواضع الموهبة، والقدرة الاستثنائية على استحواد مشاعر المحبة والتقدير والاحترام لشخصه وبراعته. كان يجول على طلاب المركز جميعاً مانحاً ملاحظاته وتوجيهه برصانة وحزم لطيف، فإذا ما احتاج الرجال أن يشرح بقله ما ينبغي أن يكون عليه الشكل، أضيف إلى ما سبق الانبهار - الذي لم يقصده - ببراعته في الرسم. ومع كل هذه البراعة التي صاغت موهبة رفيعة في إدراك اللون والضوء والشكل، وقدرة استثنائية في التعبير عنها، وقد صقلتها معا الخبرة التي اكتسبها من دراسته التخصصية في أكاديمية الفنون الجميلة في استانبول، وخاصة من الفنان (فيهمان دورانن) أحد أهم فناني الوجهايات (البورتريه). ومع كل ما سبق فحين سألته عن سبب عدم إقامته معرضاً للوحاته أجابني أن الوقت ما زال باكراً، وإقامة معرض فردي مسؤولية فنية كبيرة!!

الغريب في هذا الجواب أن الراحل كان يمتلكه إحساساً راسخ بقرب دنو أجله، فقد بلغ يومذاك



أ.محمد حديفي - رئيس التحرير



سلامتك يا وطن الجمال

من المآكل والمشارب، وكثيراً ما شاهدنا بأم العين يافعاً يقتل والده ووالدته بحجة أنها كافران وقد فوتنا أحد فروض الصلاة، وذلك بعد أن أوهمه الإرهابيون بأن طريقه إلى الجنة يصبح ميسراً، وأن الله سيحتسب له عمله هذا، وستتم مكافأته يوم القيامة.

في الأيام القليلة الماضية شاهدنا بأم العين البقعة الأجمل في سورية وهي الشمال السوري تحترق بفعل فاعل؛ إذ ليس من قبيل الصدفة أن تشتعل أحرارنا الجميلة من جهاتها الأربع في توقيت واحد مدروس يأخذ بعين الاعتبار اتجاه الريح وحركتها لكي يصعب إطفاء الحرائق التي كانت أشبه بالجحيم، وقد قطع المجرمون الشك باليقين حينما أعلنوا في أكثر من مناسبة مسؤوليتهم عن هذا العمل الإجرامي، وراحوا يتباهون به، ويتشرفون بصراخ النساء والأطفال، وهم يهرولون مذعورين، والنار تلاحقهم من كل حذب وصوب.

أعلن الإرهابيون مسؤوليتهم عن إشعال النار وإذكائها، وراحوا يتباهون بأن مساعيهم الشريرة نجحت، لا بل ويعدون الشعب السوري بالمزيد من الأذى والشرور قاطعين العهد على أنفسهم بمواصلة السعي للإحراق أذى أكبر وأشد فداحة مما قاموا به واقترفت أيديهم الشريرة الفادرة.

لم تتضح حتى الآن أحجام الخسائر الفادحة التي مني بها الوطن جراء هذا العمل المجرم، ومما لا شك فيه أن الخسائر التي شاهدناها بأم العين كبيرة وفوق طاقة الفلاح الذي فجع بأرضه ومسكنه وممتلكاته التي صرف عمره بالكاد والتعب والسهر من أجل صونها والحفاظ عليها، فجاءت النار المجرمة الفادرة والتهمة كل شيء؛ حتى أن كثيرين غادروا بيوتهم مكرهين لأن بقاءهم في هذه الأمكنة يعني موتهم احتراقاً مع ما يعني ذلك من وجع في الروح، وخسائر لا يستطيع أحد أن يقوم بتعويضها.

نخلص إلى القول: إن قدر السوريين في هذه المرحلة أن يواجهوا ما يواجهونه من محن تتوالى، والسوريون يعلمون علم اليقين الأسباب والدوافع الكامنة وراء هذه الأعمال الإجرامية المتلاحقة، ومع ذلك نجدهم صابرين محتسبين لأن المبدأ الذي اتخذوه نهجاً ودستوراً لهم في الحياة مبدأ سام يستحق التضحية، فهم يملكون الإيمان الراسخ الأكيد أن المال يعوض، والشجرة يفرس بديل لها من جديد، والأرض التي صيرها الإجمام قاحلة جرداء الآن يمكن أن تستعيد ثوبها الأخضر البهي؛ إلا أن الشيء الوحيد الذي لا يمكن أن يعوض هو الكرامة، والسوريون ومنذ غابر العصور شعب اتسم بالاستماتة مضادة للكرامة.. حماك الله يا وطني الغالي وحمى أناسك الطيبين الصابرين.

على شرفه من شظايا الروح المتناثرة لها فوق مساحة الوطن، وعلى حافة هاوية أحدثها زلزال الخيانة والغدر.. أقف وقلبي مأخوذ بهول الفاجعة، وفداحة الخطيئة، قلبي يحدثني عن خضرة الوطن التي كانت إلى حين تغسل أدران النفس، وتبعث في ذبال الروح حياة لتضمن الديمومة والاستمرار، وتجعل من تراب الوطن مؤناً للمقبل ساعة التعب، وسريراً يرتاح فوق ضفتيه جسداً لطالما أنهكته ليالي العتم الطوال وهو يدب فوق تضاريس الوطن المدماة باحثاً عن جرعة ماء نقية، وحضنة من هواء لم تلوثه خطايا المجرمين الحاقدين الذين امتهنوا القتل، وحملوا ألوياً الموت شعاراً لقتل سورية والسوريين.

أقف وقلبي مشدوهين ونحن ننظر لفداحة الكارثة، وأتساءل: من أي طينة جبل هؤلاء المجرمون، وأي حقد أسود يملأ قلوبهم؟ وهل يستطيع أحد في الكون، كل الكون، أن يقنعني بأن ما تراه العين، وما يحسه الجسد من لهيب أذكت ناره أياذ مجرمة ملوثة بدماء السوريين هو من أجل حرية سورية والسوريين؟ فأية ثورة تلك التي يسعى مشعلوها ومؤججوها ومدبروها لاغتيال البراعم الخضراء في وطني، والقضاء على إرث حضاري شيدته الأبياء والأجداد منذ غابر العصور؟ إنها بحق جريمة أكبر مما يمكن للعقل أن يتصورها، وللقلب أن يحتلمها؛ فالذين قاموا بهذا العمل الإجرامي المدان هم أناس تجردوا من إنسانيتهم، وباعوا أنفسهم رخيصة لأعداء الوطن مقابل مال حرام سخره المانحون لتدمير سورية، وإفقار الشعب السوري عن طريق محاربتة بوسائل عيشه التي يسعى جاهداً لإدارتها بدمه وعرقه وكده وسهره، من أجل أن يطعم أولاده خبزاً حلالاً، ويستريح عرياً سعى الحاقدون على فرضه لتحقيق مآربهم وإركاك السوريين من أجل قبول الشروط القاسية المجحفة التي حاول أعداء الوطن فرضها مستغلين حقد الغرب الذي تقوده الولايات المتحدة الأميركية، وتأمير بعض الحكام العرب الذين باعوا كراماتهم وارتهنوا للعدو الصهيوني، وراحوا يتسابقون لطلب وده ورضاه، والارتداء اذلاء بأحضانهم كي يرضى عنهم ويبقيهم على سدة عروشهم التي بنوها من عرق مواطنيهم وجهودهم ومآلهم الذي يذهب هدراً لخزائن الصهاينة والغرب، كي يدير المصانع التي تنتج أفتك الأسلحة، وأشدّها قدرة على القتل والتدمير لاستعمالها ضد سورية والسوريين، أو أي شعب يرفض الانقلاب والاستسلام.

يزول العجب والاستغراب حينما نعود بالذاكرة قليلاً إلى الوراء لنستذكر ما أقدم عليه الإرهاب في وطننا الذي اتخذ القتل والتشريد والتدمير شعاراً له، وحاول عن طريق نشر فكره الظلامي الأسود أن يغسل أدمغة الذين وقعوا في قبضته عن طريق إيهامهم بجنة مزعومة، وحوار عين، وأنهار من العسل والطيبات

mouhammad.houdaifi@gmail.com



- التأمل بقلب منفتح
- ترجمة عبير حمود
- ترجمة



- رأيت خلفي جثتي
- وليد العربي
- شعر



- استعصاءات التنوير
- العربي بين المآزق والمخرج
- حسن إبراهيم أحمد
- دراسة



- فراشات ملونة
- رضوان الجزواني
- شعر

إصدارات جديدة
منشورات اتحاد الكتاب العرب